الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى– جيجل–

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

ظاهرة التنغيم في اللغة العربية بين القدامى والمحدثين

– سورة آل عمران أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:
* مباركة عليوة
* هانية سعيود

إشراف الأستاذة:
* أسماء دنايب

أعضاء لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ(ة)	الجامعة	الصفة
أ. جمال بوسنون	جامعة جيجل	رئيسا
أ. أسماء دنايب	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
أ. محمد بولحية	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 1443 / 1444هـ الموافق ل 2022/ 2023م

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى– جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

ظاهرة التنغيم في اللغة العربية بين القدامى والمحدثين

– سورة آل عمران أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

* مباركة عليوة

* هانية سعيود

إشراف الأستاذة:

* أسماء دنايب

أعضاء لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ(ة)	الجامعة	الصفة
أ. جمال بوسنون	جامعة جيجل	رئيسا
أ. أسماء دنايب	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
أ. محمد بولحية	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 1443 / 1444هـ الموافق ل 2022/ 2023م

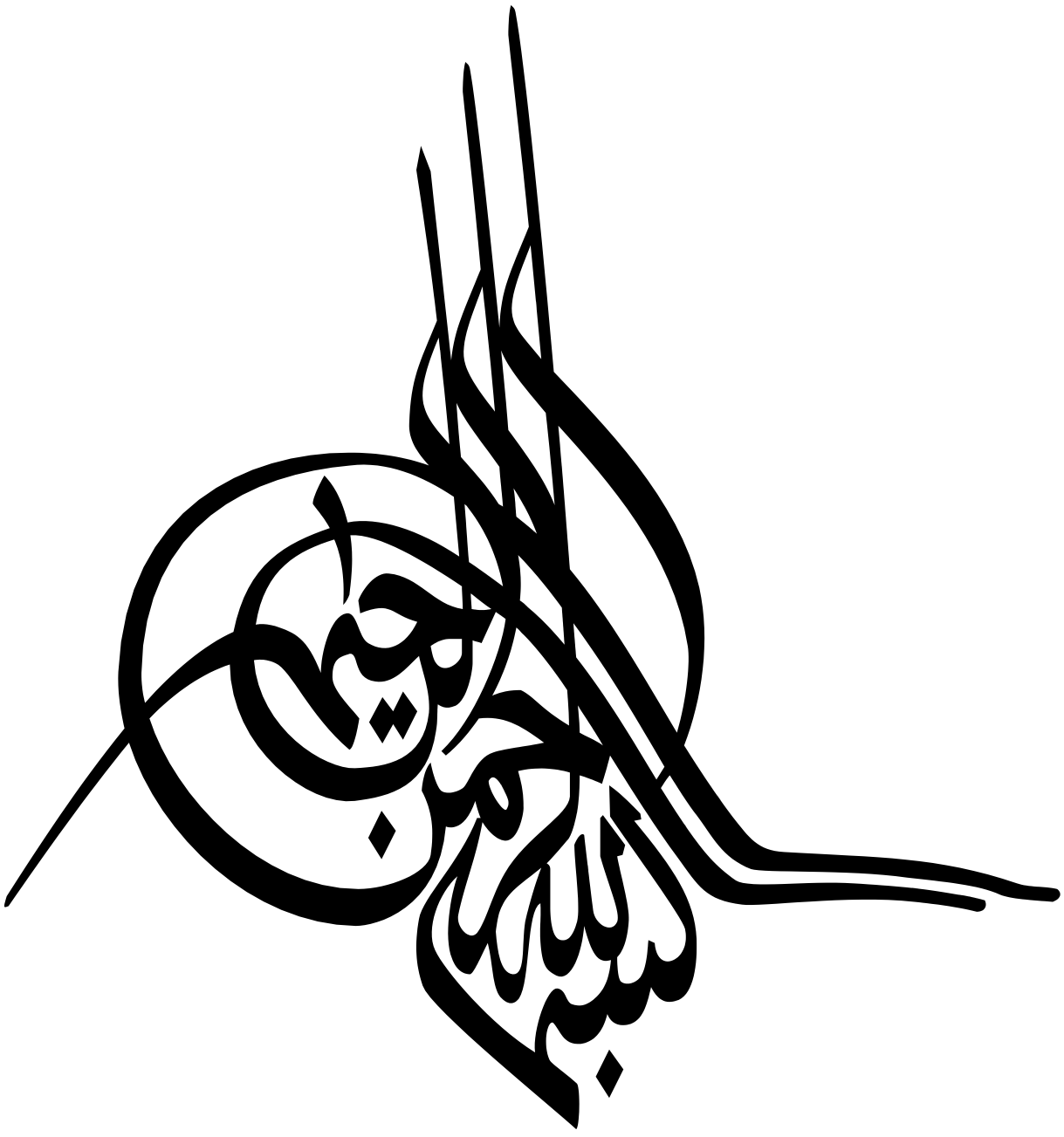
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

نحمد الله ونشكره، الله الواحد الأحد الذي أنعم علينا بنعمة العلم والعقل وأمدنا بالعزيمة ونتقدم بالشكر الجزيل والعرفان لأستاذتنا المشرفة "دنايبي أسماء" التي أمدتنا بتوجيهاتها ونصائحها القيّمة لإتمام هذا العمل على أحسن وجه، فجزاها الله عنّا كل خير

كما نتوجه بأطيب عبارات الشكر والعرفان إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة المحترمين، الذين قبلوا تحمل عبء مراجعة هذا العمل.

ولا يفوتنا أن نشكر أساتذتنا الأفاضل وكل من زودنا بالعلم والمعارف.

مقدمة

الأصل في اللغة أنها منطوقة، فاللغة هي الوسيلة الرئيسية التي يستخدمها المرء في عملية التواصل الإنساني، وتعتد بلغتها العربية والتي تعد بدورها لغة مليئة بالعناصر الموسيقية، يتجاوز تأثيرها تأثير الموسيقى كون اللغة عبارة عن معاني مؤثرة أولا، وإذا انتظمت هذه المعاني وفق أنماط تنغيمية وإيقاعات صوتية معينة صار هذا التأثير أكبر، إذ إن هناك ميلا غريزيا لدى الإنسان إلى الكلام ذي الجرس الموسيقي الجميل الذي من شأنه إثارة الانتباه وتحفيز النفس وجعلها مستعدة لاستقبال المعاني والتفاعل معها.

وقد حقق النص القرآني أقصى درجات التأثير الصوتي، لما يحمله في طياته من انسجام صوتي لجمال ألفاظه وسمو معانيه، وارتباط نغماته الصادرة عن فواصله، كما أن في القرآن إيقاع موسيقي متعدد الأنواع يتناسق مع دلالات آياته وسوره، فيؤدي وظيفة أساسية في البيان والتجسيد، إذ تستشعر التنغيم في كل لفظ وتركيب قرآني لأن أسلوبه مليء بالنغم المنحدر أو المرتفع في الحركة.

وعليه فإن دراسة الجانب الصوتي له أهمية بالغة في الدرس اللغوي عامة، وباعتباره المستوى الأول من مستويات التحليل اللغوي للتراكيب، يتجلى أثره البالغ في الجانب الدلالي خاصة، فهناك بعض المباحث الصوتية الفنولوجية لا سيما ظاهرة من الظواهر فوق التركيبية المصاحبة للنطق، التي تعتبر من الظواهر الصوتية الوظيفية المهمة، كونها تلُفُّ المنطوق كله وتكسبه تلوينات موسيقية حسب مقاصد المتكلمين التعبيرية، ووفقا للسياقات التخاطبية أيضا مما يسهم في توجيه الدلالات ونقل المعاني بوضوح، ألا وهي **ظاهرة التنغيم الصوتي** أو **موسيقى الكلام**.

وتظهر تلك الأهمية خاصة في كون التنغيم وسيلة لإيصال المقاصد والمعاني، والتعبير عما يختلج في الصدور من مشاعر وانفعالات، ولعل الذي يعني طرفي الخطاب وخاصة المتكلم المعاني التي يتضمنها خطابه وضمان تبليغها بأفضل أسلوب وأداء.

ونظرا لتلك الأهمية جاء عزمنا على الخوض في مجال علم الأصوات، مع انتقاء ملمح من الملامح الصوتية التي تقع خارج البنية اللغوية، يتمثل في ظاهرة التنغيم، وقد وقع اختيارنا على سورة من سور القرآن الكريم كنموذج تطبيقي، فكان بحثنا موسوما بـ" **ظاهرة التنغيم في اللغة العربية بين القدامى والمحدثين – سورة آل عمران أنموذجا–**"، وعند محاولة الإحاطة بجوانب هذا الموضوع اعترضنا الإشكال الآتي:

إلى أي مدى جسدت سورة آل عمران بأساليب آياتها وأغراضها المختلفة تنوع نغمات الكلام؟ وما العلاقة التي تربط بين التنغيم كظاهرة صوتية، والمعاني التي تضمنتها الآيات بِعَدِّهَا مبحثا من مباحث علم الدلالة؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات تُقَيِّدْ جوانب البحث وتحدد أهم عناصره أبرزها:

– ما مفهوم التنغيم؟

–وفيم تتمثل صوره وأنواعه؟

–وماهي أهم الوظائف التي يؤديها على مستوى التراكيب؟

–وهل تربطه علاقات بظواهر صوتية أخرى؟ ماهي هذه الظواهر؟.

ومن جهة أخرى من خلال التطبيق على النص القرآني:

– كيف يوجه التنغيم المعنى اللغوي للآيات القرآنية؟

– وهل هناك علاقة بين المعاني المختلفة للآيات وطرق أدائها أو هيئاتها الصوتية؟

وفي محاولتنا للإجابة عن هذه التساؤلات تم اعتماد مجموعة من المراجع التي كانت خير معين لنا في استيفاء المادة العلمية للموضوع، ومعرفة لُبّه من خلال العناوين التي تناولتها، من بينها كتب لغوية مثل:

– علم الأصوات: لحسام البهنساوي.

– الأصوات اللغوية: عاطف فضل محمد.

–من وظائف الصوت اللغوي: أحمد كشك

– علم الأصوات: لكمال بشر

– علم الأصوات العربية: محمد جواد النوري وغيرها كثير، إضافة إلى جملة من المقالات العلمية التي نشرت في مجلات محكمة:

– دلالة ظاهرة التنغيم في اللغة العربية: إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد.

– وظائف التنغيم ودورها في بناء الكفاية التواصلية لدى متعلمي اللغة العربية: خالد حميدات.

–أصالة التنغيم في القرآن الكريم: عبد القادر بن فطة.

هذا وقد صادف البحث بعض المقالات التي تناولت سورة ال عمران بالدراسة، كمقالة "**دلالة التنغيم في الزهراوين(البقرة وآل عمران)" "لفايزة حلمي مصطفى طه**"، وكذا مقالة "**الظواهر التطريزية ودورها في المعنى ظاهرة التنغيم أنموذجا" "لسليمان بوراس**"، غير أنها دراسات اقتصرت على الإشارة إلى موضع التنغيم الصاعد أو الهابط أو المستوي في الآية فحسب، بينما يسعى بحثنا إلى تفسير سبب ذلك الصعود أو الهبوط في النغمة وربطه بمعاني الآية.

وقد كان دافعنا الأول لاختيار هذا الموضوع بالتحديد ميول شخصي ورغبة في الخوض في مثل هذا المجال اللغوي مجال الصوتيات، خاصة وأنه قد كانت لنا تجربة سابقة مع موضوع ضمن هذا الميدان في مرحلة الليسانس وعنوانه "**التفكير الصوتي عند المحدثين العرب– تمام حسان أنموذجا–**"، ما جعل شغفنا لسبر أغوار بحث آخر ينمو ويتحقق بهذا الاختيار، وعن الدوافع الموضوعية فيمكن إيجازها في:

كون الصوت أولى مستويات اللغة بالدراسة، يمكن الانطلاق من خلاله لآفاق أوسع في فهم دلالات اللغة ومعانيها، وبالأخص استيعاب المعاني القرآنية بشكل أعمق وأوضح.

أما عن أهداف الدراسة فأهمها:

– كشف العلاقة الوطيدة بين المعاني المختلفة للآيات وطرق أدائها وهيئاتها الصوتية.

– تبيان وجه الإفادة من قراءة القرآن الكريم وترتيله في فهم معانيه، عملا بقوله عز وجل: ﴿**وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (4)**﴾ [سورة المزمل، الآية 4].

– إثراء مكتبة الكلية ببحوث لغوية، تنطلق في دراستها للنص القرآني من نواحٍ صوتية دقيقة، تقف عند المعنى ولا تكتفي بإحصاء وتيرة انخفاض الصوت وارتفاعه في قراءة الآيات.

ولما كان المنهج بمثابة الطريق الذي يسلكه الباحث طيلة بحثه، اعتمدنا على المنهج الوصفي لمناسبته وطبيعة الموضوع، التي اقتضت الجنوح إلى تتبع صور التنغيم في الآيات، وتفسير مَرَدْ التنوع في نغمات الكلام، وسبب ورود الأسلوب وفق هذا النمط التنغيمي بالذات دون غيره.

وقد واجهتنا صعوبات حالت دون السير بطريقة سلسة دون توقف من بداية البحث إلى نهايته منها ما تعلق: بالموضوع في حدّ ذاته حيث كان متشعبا، عرفت جوانبه اتساعا، ما جعلنا نركز على نقاط كنا نخال أنها مهمة، وبالسورة التي اخترناها نموذجا للتطبيق عليها، فهي من السور الطوال التي عرفت تنوعا في الأساليب واختلافا في الأغراض التي سيقت لأجلها، ما جعل تتبع كل آية من السورة أمرا صعبا فاخترنا نماذج فقط اعتمد فيها على المعاني المتشابهة، وكذلك عدم تمكننا من التوفيق في تقسيم المدّة الي منحت لنا لإنجاز البحث، بين الجانب النظري والتطبيقي، حيث أولينا الجانب الأول أكبر مما يستحقه، غير أنه صنع لدينا قاعدة صوتية ساعدتنا أثناء التطبيق، لتحقيق ذلك كله تم تسطير خطة تَدَرَّجْنَا فيها من العام إلى الخاص فالأخص، بدء بالحديث عن الدراسة الصوتية بصفة عامة بين القدامى والمحدثين، بشقيها الصوتيات العامة والصوتيات الوظيفية، ثم خصَّصْنا الحديث عن علم وظائف الأصوات، وبالتحديد مبحث الملامح الصوتية فوق القطعية واخترنا منها ظاهرة التنغيم، الذي تَتَبّعْنا مظاهرهُ في سورة قرآنية، وبناء على هذا تم توزيع مباحث هذه الدراسة على فصلين، فجاءت خطة العمل كالآتي:

فصل أول معنون بـ" **الدرس الصوتي العربي بين القدامى والمحدثين**"، قسمناه إلى مبحثين؛ المبحث الأول: **الدراسات الصوتية العربية بين القدامى والمحدثين** وقفنا من خلاله على البدايات الأولى للدراسة الصوتية عند العرب القدامى ، ثم تحدثنا عن جهود بعض علماء العربية القدامى، من أمثال: "الخليل"- "سيبويه"- "ابن جني"، وكذا علماء القراءات " مكي بن أبي طالب" وابن الجزري"، وأردفنا هذا المطلب بالحديث عن نشأة الدرس الصوتي عند العرب المحدثين، ثم تناولنا أهم أعلام الدرس الصوتي الحديث وجعلنا آخر عنصر للحديث عن خصائص كل من الدرسين الصوتي العربي القديم والحديث.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل، والذي يعد محور هذه الدراسة، كان عنوانه" **ظاهرة التنغيم الصوتي**"، حيث تطرقنا لمختلف تعريفات التنغيم عند المعجميين، وعلماء العربية منهم القدامى والمحدثون، ثم تناول البحث ظاهرة التنغيم عند القدامى والمحدثين، وتطرقنا بعد ذلك إلى أبرز أنواع التنغيم وما يؤديه من وظائف مختلفة، وكذا أهم العلاقات التي تربطه بظواهر صوتية أخرى.

والفصل الثاني كان بمثابة الجزء التطبيقي من الدراسة، عنوانه "**دراسة صوتية وظيفية لظاهرة التنغيم في سورة " آل عمران**" وقسم كذلك إلى مبحثين: المبحث الأول تحدثنا فيه عن مدونة البحث

وهي سورة " **آل عمران**" بشكل تفصيلي، أما المبحث الثاني فخصص لتطبيق مظاهر التنغيم على آيات من السورة الكريمة تم من خلاله الوقوف على الأثر الواضح لظاهرة التنغيم في توجيه المعنى اللغوي للآيات، لتكون صفوة القول عن كل ما تقدم خاتمة اشتملت على أبرز النتائج المستخلصة من كل ما تم تناوله.

وفي الأخير، نحمد الله أن وفقنا في إنجاز هذا العمل، وما كنا لنبلغه لولا فضله وكرم عنايته.

وكذا نتقدم بجزيل الشكر، وفائق التقدير، وعظيم الامتنان للأستاذة المشرفة" **أسماء دنايب**" التي كانت خير معين لنا طيلة البحث، وتكبّدت عناء تصحيح وتقويم كل هفوة وقعنا فيها، فقد كانت خير مشرفة بتوجيهاتها القيّمة والسديدة.

الفصل الأول: الدرس الصوتي العربي بين القدامى والمحدثين

المبحث الأول: الدراسات الصوتية العربية بين القدامى والمحدثين

تمهيد:

اللغة العربية عبارة عن أصوات، هذه الأصوات تكوّن في مجملها نظاما خاصا هو النظام الصوتي، حيث يعدّ الصّوت موضوع علم جليل القدر هو علم الأصوات، الذي حظي بعناية اللّغويين على مر الزّمن، ولم يكن هذا العلم وليد العصر الحديث، فقد اهتم علماء اللّغة منذ القدم بالعديد من القضايا الصّوتية التي جذبت انتباههم، ودافعهم الأول لهذا الاهتمام الذّوذ عن لغتهم من جهة، وعن الكتاب المقدس "القرآن الكريم" – الذي نزل بهذه اللغة خوفا من تحريفه– من جهة أخرى، ولعلماء العربية جهود في مجال الصّوتيات لا ينبغي التّقليل من قيمتها، فقد وصفوا الصّوت اللغوي وصفا دقيقا – انطلاقا من حسهم اللّغوي المرهف وفطرتهم اللغوية السليمة – محدّدين مخارجه وصفاته وكيفية النُّطق به، أما علماء الأصوات المحدثون فقد بنوا دراساتهم في مجال علم الأصوات على النتائج التي توصّل إليها القدامى، لكن تناولهم لمختلف القضايا الصوتية كان يتّسم بشيء من الدقة نظرا لإخضاع هذه القضايا لقواعد وقوانين تضبطها.

بناء على هذا تعنّ جملة من التساؤلات، يسعى البحث للفصل فيها متمثلة في:

- فيم تتمثل البوادر الأولى لنشأة التفكير الصوتي عند العرب القدامى؟
- وما هو صنيعهم في مجال علم الأصوات؟ وكيف نشأ علم الأصوات الحديث؟
- وما الذي قدمه المحدثون للدّراسة الصّوتية؟
- وما هي أبرز مميزات وسمات الدرس الصوتي عند العرب القدامى والمحدثين؟.

المطلب الأول: إرهاصات الدرس الصوتي عند العرب القدامى

لقد نشأ الدرس الصوتي عند العرب في كنف العلوم العربية الأخرى، ومن بينها علم النحو، وهذا ما أقره المستشرق الألماني "برجشتراسر" (Bergsträsser) قائلا: «وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءا من أجزاء النحو» [1]،ويظهر ذلك في مؤلّفات الرعيل الأول من النحاة خاصة، "فسيبويه" مثلا عند تصفح مصنفه "الكتاب" يدرك وجود هذا الارتباط بين العلمين، من خلال تناوله لظواهر صوتية ضمن كتاب نحوي .

«فقد أدرك النّحاة العرب قصور فهمهم نحو العربية وصرفها ما لم يدرسوا أصواتها، فكانت عنايتهم بها شديدة، اقتضت معرفة مخارجها وجهازها الصوتي، وصفاتها العامة والخاصة وقوانينها»[2] ؛فقبل الخوض في مستويات اللغة سواء

---

[1]– برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1414هـ/ 1994م، ص11.

[2]– خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد، العراق، د ط، 1403هـ/ 1983م، ص04.

كان المستوى النحوي أو الصرفي، لابد من مقدمة تُخَوّل للغويّ أن تكون دراساته سليمة، بحيث يجب أن يكون على دراية بأصوات اللغة من مختلف جوانبها.

والعناية بالدراسة الصوتيّة لم تقتصر على النحاة فقط، بل انتقلت إلى علماء القراءات والتجويد، حيث يعد علم القراءات الحقل الخصب الذي تطورت فيه هذه الدراسة، فنالت اهتماما في بالغ الأهمية لما ارتبطت بتجويد القرآن الكريم، «فقد أثّرت القراءات القرآنية في الدراسات الصّوتية تأثيرا كبيرا وعميقا ذلك أنها في حقيقة الأمر ليست إلا وجوه أداء وتنوع في الصوت، فالقراءات في حقيقتها إنما وجدت للأداء الشفهي للمصحف الشريف، الذي دُوِّن فيه القرآن الكريم، تعتمد أساسا على النطق المجوّد والسّماع الدّقيق والتّلقي الصّحيح»[1]؛ فاستناد القراءات القرآنية واعتمادها على المشافهة والأداء، كوّن بينها وبين علم الأصوات علاقة وطيدة، فالقراءة هي عملية نطق لسلسلة من الأصوات المتجانسة التي تتكون منها مفردات تشكّل تراكيب عدة.

«وتبين الكتب المؤلفة في علم التجويد التي وصلت إلينا شمول دراسة أصوات اللغة من جميع الوجوه، فإن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور، أحدها معرفة مخارج الحروف، والثاني معرفة صفاتها، والثالث معرفة ما يتحدد لها بسبب التركيب من الأحكام، والرابع رياضة اللّسان وكثرة التكرار»[2]. فإدراك مخارج الحروف وصفاتها هي في الحقيقة الموضوعات الرئيسية في علم أصوات العربية، والتي بدورها ضرورية لسلامة وصحة القراءة القرآنية.

المطلب الثاني: جهود علماء العربية القدامى في الدراسة الصوتية

بعد الإقرار بارتباط نشأة الدرس الصوتي العربي بعلمين، ساهما مساهمة كبيرة في انبعاثه وتطوره، ألا وهما علم النحو وعلم القراءات لا ضير من الالتفات لصنيع ثلة من علماء العربية، من بينهم اللّغويون وعلماء القراءات في مجال الصوتيات.

أ- اللّغويون: كان لبعض اللّغويين العرب نصيب من الخوض في مسائل صوتية، أهّلتهم ليكونوا روّاد هذا المجال اللّغوي، ولابد من تسليط الضوء على بعض من إنجازاتهم المتعاقبة، بدء من القرن الثاني للهجرة إلى ما بعده ومن أبرز هؤلاء:

1- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (100- 175هـ): وتنسب إليه الريادة في الدراسة الصوتية، نظرا لما تناوله في مصنفه الشهير "العين"، بحيث يعد أول معجم تعرّض لأصوات اللّغة العربية.

---

[1]- عمار ساسي: المدخل إلى الصوتيات تاريخا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، دط، 2014م، ص163، 164.

[2]- غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص 10،11.

« فقد أشار في مقدمة معجم العين إلى النهج الذي اختاره في ترتيب الأصوات بحيث لم يعتمد على النّظام الأبجدي مثلا، بل كان ترتيبه بحسب مخارج الحروف، فكان أن رتب الأبجدية إلى مجموعات صوتية كما يلي: ع ح ه غ خ – ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط – ت – د – ظ ث ذ – ر ل ن – ف ب م – و ا ي»[1]، وبالإضافة إلى ترتيب حروف العربية عُني الخليل بتحديد مخارجها وذكر صفاتها، أما عن مخارج الحروف فقد رسم طريقة مميزة تمكّن من التّحديد الدّقيق لمصدر أي حرف حيث جاء في مقدمة كتابه: «إنّما كان ذواقه إيّاها أنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف نحو: أبْ، أتْ، أحْ، أعْ، أغْ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرُب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم » [2].

فالنطق بالحرف ساكنا مع سبقه بالألف وهذا لمعرفة مخرجه، يَنِمُّ على عدم اكتفاء "الخليل" بالتّنظير بل تعداه لتطبيق ما توصل إليه على الصّوت اللّغوي، وهو الجانب الذي أغفله سابقوه، وبالإضافة إلى مخارج الحروف أسهب الخليل في الحديث عن صفاتها المميّزة لكل حرف أو مجموعة حروف على حدة، ومن أمثلتها ما قاله عن صفة الذّلاقة والحروف التي تتصف بها: «اعلم أن الحروف الذّلقية والشفوية ستة وهي: ر ل ن، ف، ب، م، وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق، إنما هي بطرف أسلة اللّسان [3]»، من هذا المنطلق يدرك أن الخليل كان على دراية بالجهاز النطقي فعند تحديده المخرج الصّوتي تلقائيا يشير إلى العضو الذي يصدر عنه الصوت.

2- سيبويه أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر (ت 180هـ): هو تلميذ "الخليل" سار على نهجه في بعض القضايا الصوتية، محاولا إكمال ما بدأه أستاذه في المجال الصّوتي، فكانت دراساته أكثر دقة، لها تأثير على اللّغويين بعده، فقد تعرض للمسائل الصوتية في مصنفه "الكتاب" في معرض حديثه عن ظاهرة الإدغام، وجعل الحديث عن ترتيب حروف العربية وعددها، وتحديد صفاتها ومخارجها مقدمة للحديث عن ظاهرة الإدغام، ويقول في هذا الصدد: «أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، الكاف، القاف، الضاد الجيم، الشين، الياء، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم، الواو»[4]،والملاحظ على ترتيب "سيبويه" أنه مخالف لترتيب أستاذه الخليل.

---

[1]- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص 30.

[2]- المرجع نفسه، ص34.

[3]- المرجع نفسه، ص37.

[4]- سيبويه أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر: الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1402هـ/ 1982م، ص431.

3- أبو الفتح عثمان ابن جني (ت 392هـ):

وقد توالت جهود اللّغويين في علم الأصوات «ففي القرن الرابع الهجري أخذت الدراسة الصوتية على يد "أبي الفتح ابن جني" مرحلة الاستقلال، بما كتبه هذا الإمام العظيم في (سر الصناعة) من بحوث صوتية، ولم يكتف فيها بجمع آراء سابقيه، وإنما كانت له في هذا الكتاب وفي غيره إضافات وشروح، جعلته المصدر الوافي لمن يريد معرفة التفكير الصّوتي العربي[1].

فبعدما كانت المسائل الصوتية تعالج ضمن علوم العربية الأخرى كالنحو والبلاغة مثلا، جاء ابن جنيّ ليجعل الدرس الصوتي العربي مستقلا بذاته، فقد أفرد مصنّفه "سرّ صناعة الإعراب" للحديث عن الأصوات العربية من مختلف جوانبها، ولم يقدم على هذه الخطوة أحد من قبله، والإشادة بحديث "ابن جني" عن الأصوات لا يقتصر عما ضمّنه في كتابه المذكور سابقا بل يتعداه إلى منجزه الآخر "الخصائص"، وهذا ما أقره "عمار ساسي" حين قال: «يعد أبو الفتح ابن جني بحق رائدا في البحث الصّوتي، ومجددا ومنظر، نتيجة منجزيه الكبيرين الموسومين بـ (سر صناعة الإعراب) و(الخصائص)، إذ هما يمثلان – برأينا – أوّل موسوعة علمية متخصصة في الصوتيات العربية، حيث لم يصنع هذا الصنيع أحد قبله ولا بعده» [2]وعند تتبع واستقراء أبرز المسائل الصوتية في كتابه "سر صناعة الإعراب" يمكن إدراك أنّ أهم المباحث الصّوتية عنده تتلخص فيما يلي:

1- ذكر عدد حروف المعجم وترتيبها، يقول: «اعلم أنّ أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا... وهي الهمزة والألف والهاء والعين والخاء والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والجيم والشين والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو». [3]

2- بيان مخارج الحروف بدءا من تحديد عددها ثم التفصيل في كل مخرج على حدة، والحروف التي تصدر عنه، بدءا من أقصى الحلق إلى الخيشوم حيث يقول: «اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلق، فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء، مخرج العين والحاء، ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء، ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف، ومن أسفل ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف، ومن وسط اللسان مخرج الجيم والشين

---

[1] – عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، القاهرة، مصر، دط، 2002م، ص14.

[2] – عمار ساسي: المدخل إلى الصوتيات تاريخا، ص 205، 206.

[3] –أبو الفتح عثمان ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ/ 1993م، ص 41-45.

والياء، ومن أول حافة اللسان...مخرج الضاد، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان...مخرج اللام،...، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيّة».[1]

3– بيان صفات الحروف وتصنيفها إلى أقسام، مع شرح كل صفة والتمثيل حيث قال: «اعلم أن للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات نحن نذكرها: فمن ذلك انقسامها في الجهر والهمس...، وللحروف انقسام آخر إلى الشّدة والرخاوة وما بينهما،...وللحروف انقسام آخر إلى الإطباق والانفتاح...، وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض وللحروف قسمة أخرى إلى الصحة والاعتلال...، وللحروف قسمة أخرى إلى الأصل والزيادة...، ومن الحروف حرف منحرف... ومنها المكرر...، واعلم أن في الحروف حروفا مشربة»[2]، لم يخرج ابن جني عن ما أوثر عن اللّغويين الذين سبقوه فيما يتعلق بالدراسة الصوتية، هو الآخر تحدث عن ترتيب حروف العربية، وتحديد مخارجها وصفاتها، لكن ما يحسب له جعل علم الأصوات والمسائل المتعلقة به في مصنفات منفردة.

ب–علماء القراءات: اهتم أهل القراءة والتجويد بدراسة الأصوات اللّغوية، شأنهم شأن علماء اللّغة، لكن اهتمامهم كان أكبر، لارتباط صحّة وسلامة تجويد القرآن الكريم بمعرفة وإدراك الصّوت اللّغوي من جوانب مختلفة، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى اثنين من القراء كانوا السّبّاقين في تضمين مؤلفاتهم قضايا صوتية.

1– الإمام مكّي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ): في مؤلّفه "الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" حرص على تناول مسائل صوتية، حيث خصص قسما كبيرا للحديث عن الأصوات، وعقد بابا بعنوان (صفات الحروف وألقابها وعللها)، وهي أربعة وأربعون لقبا، وفي إطار ذكره لهذه الصفات تعرّض للحروف التي تحمل كل صفة جامعا إيّاها في عبارات، ولم يكتف بذلك فصّل فيها معللا ومستشهدا، وكمثال على ذلك قوله: «حروف الإبدال: وهي اثنا عشر حرفا، يجمعها هجاء قولك: (طال يوم أنجدته)، وإنما سمّيت بحروف الإبدال لأنها تبدل من غيرها، نقول: أمر لازب ولازم»[3]. وأردف باب الصفات بأبواب أخرى تعرض فيها لمخارج حروف العربية كلّها، عنون كل باب بحرف من الحروف، مستشهدا من القرآن الكريم فيقول: «فلنذكر الآن مخارج الحروف حرفا بعد حرف، ونذكر مع كل حرف ما يليق به من ألفاظ كتاب الله تعالى...، فيجب أن تعلم أن للحروف التي تألّف منها الكلام ستة عشر مخرجا للحلق منها ثلاثة مخارج» .[4]

---

[1]– أبو الفتح عثمان ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص 46–48.

[2]– المرجع نفسه، ص 60–64.

[3]– أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، الأردن، ط3، 1417هـ/ 1996م، ص 122.

[4]– المرجع نفسه، ص 144.

وعلى العموم فإن جهد "مكي بن أبي طالب" يتّسم بشيء من الشرح والتفسير نظرا لأنه ساق أمثلة وشواهد تعزّز كل ما تطرق إليه.

2- ابن الجزري (ت 833 هـ): لم يذهب "ابن الجزري" بعيدا عما ضمّنه "مكي بن أبي طالب" في مؤلفه فيما تعلق بالصوت، فقد أشار هو الآخر في كتابه (النشر في القراءات العشر) إلى أنّ الإحاطة بجوانب الدرس الصوتي مقدمة لابد منها لإجادة تجويد القرآن الكريم .وفي هذا السياق ذهب قائلا: «ولا بأس بتقديم فوائد لابد من معرفتها لمريد هذا العلم قبل الأخذ فيه، كالكلام على مخارج الحروف وصفاتها، وكيف ينبغي أن يقرأ القرآن، من التحقيق والترتيل والتجويد والوقف والابتداء ملّخصا مختصرا». [1]

ويُفهم من قول "ابن الجزري" هذا أنه في إطار اهتمامه بالأصوات اللّغوية، تحدث عن حروف العربية من جهتين مهمتين، أولهما المخارج، والثاني الصفات، وقبل الحديث عن المخارج -التي آثر أن يبتدأ بها - أشار إلى اختلاف علماء العربية من قراء ولغويين ونحاة في إحصاء عدد مخارج الحروف، حيث قال في هذا الشأن: «أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها، فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحقّقين "كالخليل بن أحمد" و "مكي بن أبي طالب" و "أبي القاسم الهذلي" و "أبي الحسن شريح"، وغيرهم سبعة عشر مخرجا، وهو الذي أثبته "أبو علي ابن سينا" في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها، وقال كثير من النحاة والقراء هي ستة عشر...، وذهب "قطرب" و "الجرمي" و "الفراء" و "ابن دريد" و "ابن كيسان" أنها أربعة عشر»[2] .

ثم تعرّض لهذه المخارج آخذا في ذلك بآراء السابقين من العلماء، وكان تناوله لها بشيء من التحليل ومناقشة تلك الآراء التي ساقها، وما يلاحظ أيضا أنه أخذ بتصنيف الطائفة الأولى من العلماء الذين جعلوا المخارج سبعة عشر، فذكر المخرج أولا ثم الحروف التي تصدر عنه، معزّزا كلامه برأي أحد من سابقيه في المسألة أو أكثر، ويلاحظ أن أكثر العلماء الذين ساق آراءهم "الخليل" – "سيبويه" و "مكي بن أبي طالب"، حيث قال: «المخرج الرابع: أدنى الحلق إلى الفم، وهو للغين والخاء، ونص "شريح" على أن الغين قبل، وهو ظاهر كلام "سيبويه" أيضا، ونص "مكي" على تقديم الخاء» [3].

أما في حديثه عن صفات الحروف فقد ذكر الصفة وضدها، مع تعريف كل منهما، مشيرا إلى كل عدد حروف كل صفة، جامعا إياها في عبارة واحدة وهذه الصّفات على الترتيب التي لها ضد والتي لا ضد لها ثمانية عشر: «فمنها

---

[1]- أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، تح: علي محمد الضّباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس، ص 198.

[2]- المرجع نفسه، ص 198، 199.

[3]- المرجع نفسه، ص 199.

المجهورة وضدها المهموسة، ومنها الحروف الرخوة وضدها الشّديدة، والمتوسطة بين الشّدة والرّخاوة، ومنها الحروف المستفيلة وضدها المستعلية وحروف الإطباق، والحروف المنفتحة وضدها المطبقة، وحروف الصفير وحروف القلقلة، وحروف المد، والحروف الخفية، وحرفا اللّين، وحروف الانحراف، وحروف التفشي، وأخيرا الحروف المستطيلة»[1]. للحروف صفات مختلفة ومنها التي لها ضد والتي لا ضد لها، فنجد المجهورة والمهموسة، والرخوة وغيرها من الصفات التي يتميز بها كل حرف حسب مخرجه.

المطلب الثالث: نشأة الدرس الصوتي عند العرب المحدثين:

حظيت الدراسات الصوتية باهتمام علماء العرب القدامى والمحدثين، إذ تطورت ونضجت معالمها مع تعاقب الأجيال والعصور، لتصبح علما مستقلا بذاتها، واعتمدت على مصادر الدراسة العربية القديمة وقطعت شوطا كبيرا لتكمل مسارها.

«وإن علماء العربية في العصر الحديث قد قنعوا لفترة من الزمن بهذا القدر الذي طرحه عليهم علم التجويد، ولم يلتفتوا إلى أن الفكر الصوتي في حاجة دائمة إلى التجديد وإعادة النظر في البحث ومنهج الدرس وطرائق التحليل واستمر الأمر على ذلك، حتى مَسّتْنَا نسَمَات خفيفات حركها بعض المجتهدين في الدّرس اللّغوي بعامة، من أمثال "حفني ناصف" الذي تناول أصوات العربية بنظر جديد، يفيد من علم التجويد معتمدا أسسه ومبادئه، منطلقا إلى دراسة أصوات العربية»[2]، فقد استفاد علماء العصر الحديث من النتائج التي توصل إليها علماء التجويد وقاموا بتطويرها.

«وفي الخمسينات من القرن العشرين، عاد إلى مصر بعض المبعوثين من لندن، واشتغلوا بتدريس علم اللغة في دار العلوم، بعد حصولهم على درجة الدكتوراه ليخطوا خطى جديدة في الدّرس اللّغوي، وكان من أهم وأبرز ما صنعوا اعتماد علم الأصوات مادة مقررة في جدول الدراسة واستمر العمل بهذه الخطوة الرائدة واتسعت جوانبها وتعمقت حتى اليوم، وبهذا حظي الدّرس الصّوتي الحديث بموقع مستقل لأول مرة في دُور التعليم العربية على إطلاقها».[3]

حظيت الدّراسة الصّوتية في القرن العشرين باهتمام العلماء وإقبالهم على دراستها من مختلف الجوانب، حتى أصبحت علما مستقلا بذاتها بفضل التطور العلمي والتكنولوجي الذي ساعد على الوصول إلى نتائج دقيقة.

---

[1]-أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ، ص 202-205.

[2]- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2000، ص 25.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

«إن علماء الأصوات المحدثين لم يخرجوا كثيرا عن أسلوب الدراسات الصوتية العربية فجعلوا دراساتهم في فرعين أساسيين وهما الفونيتيكا أو علم الأصوات اللغوية، والفنولوجيا أو علم وظائف الأصوات» [1]تطرق العلماء المحدثين إلى دراسة الصوت من مختلف جوانبه وفروعه مما ساهم في تطور الدراسات الصوتية وتحقيقها نجاحا كبيرا .وقد أولى العلماء الاهتمام بدراسة الصوت الإنساني من منطلقين مختلفين وهما: «علم الأصوات اللغوية أو الفونيتيكPhonétique الذي يعنى بدراسة العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية المعتبرة في تحقيقها الملموس وبمعزل عن وظيفتها اللغوية أي عند استخدامها في التواصل، وهذا يعني أنه يعمل على تحليل العناصر الصوتية من حيث كونها أحداثا منطوقة، تتمتع بتأثير سمعي معين، دون النظر إلى وظائفها أو قيم استعمالاتها أو تحقيقاتها الآنية في التواصل اللساني، وهو بذلك يعني بمادة الأصوات لا بقوانينها أو تنظيماتها ويمكن أن نحصر ميدان أبحاث هذا العلم في ثلاثة أبواب رئيسية».[2] يهتم علم الفونيتيك بدراسة الأصوات البشرية الكلامية، بغض النظر عن الوظائف التي تؤديها تلك الأصوات في عملية الاتصال وذلك من خلال وصف تلك الأصوات المدروسة.

أما «علم وظائف الأصوات الفنولوجيا Phonology فإنه يبحث في وظائف الأصوات اللغوية من ناحية القوانين التي تعمل بموجبها والدور الذي يدرس المادة ذاتها (الصّوت اللغوي)، ولكن دون الاهتمام بوظيفتها التواصلية. لذلك لا يهتم علم وظائف الأصوات بالناحية النطقية أو السمعية للأصوات، ولا بالتغيرات الفردية لها، بل يكرّس اهتمامه لدراسة الفروقات الصوتية من حيث عملها في فهم الرسالة اللغوية» [3]. يقوم علم الفنولوجيا بدارسة الأصوات الكلامية للغة ما، ودراسة وظيفتها في إطار النّظام الصوتي لهذه اللغة، وكذلك الفروقات الصوتية من حيث الأعمال التي تؤديها.« وقد توصلوا إلى عزل الصوت، واستطاعوا إعادة تركيبه، لأن الصوت الإنساني مادة، ودراسة هذه المادة تكون علمية تبدأ منذ لحظة تشكّل الصوت في الجهاز النطقي بدءا من ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين اللّتين تدفعان الهواء في القصبة الهوائية مرورا بالحنجرة والفم، وصولا إلى أذن السّامع أو المتلقي، بل وصول الأصوات إلى الدماغ وتحليلها، وردود الفعل التي تحدثه مما يفرض على عالم الأصوات اللّغوية دراسة الجهاز النّطقي كله ومخارج الأصوات وصفاتها، وخصائصها وتأثّرها بعضها ببعض، لأن مادة الصوت الأولى لا تحتفظ بصفاتها المنفردة أثناء التكلم» [4]

---

[1]– عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية –الفونتيكا، دار الفكر اللساني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص7.

[2]– المرجع نفسه، ص6،7.

[3]– بسام بركة: علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، دط، دس، ص6،7.

[4]– عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية – الفونتيكا، ص 7.

تمكّن الباحثون من عزل الصوت وإعادة صياغته باعتباره مادة تبدأ من لحظة تشكّل الصوت في جهاز النطق، التي تصل في النهاية إلى الدّماغ الذي يستجيب لها ويقوم بتحليلها، وردود الفعل التي تحدثها مما يسمح لعالم الأصوات اللغوية بدراسة الجهاز النّطقي كله إضافة إلى المخارج والصفات.

«إنّ الكلام الذي ننطق به يحوي تيارا مستمرا من الأصوات، ولا تنفصل تلك الأصوات التي تكوّن الكلمات عن طريق التوقف أثناء الكلام، ولكن يجب أن نستخلص تلك الأصوات والكلمات من ذلك الكم المتصل من الهواء الخارج من الجهاز النطقي أثناء الكلام، فالكلام يخرج في شكل كتل صوتية متتابعة في سلسلة صوتية أثناء الكلام المتصل».[1] يحتوي الكلام على تيار من الأصوات وهي لا تنفصل عن بعضها، لأن الكلام يخرج في شكل دفعات صوتية.

«ومن الممكن إذا تدرجنا من البسيط إلى المركب فالأكثر تركيبا يجب أن نقسم الوحدات الصوتية، أو وحدات التعبير الأساسية basic untis of exprichen إلى ما يلي: الفونيم phonème : وهو الوحدة المتميزة الصغرى التي تجزئ سلسلة التعبير إليها، أو الوحدة الصوتية وهو المجال الرئيسي الذي تدور حوله الدّراسات الفنولوجية». ويعرف تعريفا آخر بأنه «أصغر وحدة وظيفية في النظام الصوتي، وتتمثل وظيفة الفونيمات في لغة ما في إقامة مقابلات بين كلمات هذه اللغة فإذا ظهر صوتان في الوضعية الصوتية نفسها، ولم يكن بإمكان أحدهما الحلول مكان الآخر دون تغيير دلالة الكلمات».[2]

يعد الفونيم أصغر وحدة في النظام الصوتي، وتتجلى وظيفته في إقامة التقابلات بين كلمات اللغة، كما يظهر من خلالها صوتان يكونان في نفس الوضعية الصوتية.

إن علماء الأصوات يقسمون الفونيم إلى قسمين رئيسين هما:

« **الفونيم التركيبي أو القطعي**: هو تلك الوحدة الصوتية أو القطعة الصوتية التي تكون جزءا من أبسط صيغة ذات معنى، منعزلة عن السياق، أو هو ذلك العنصر الذي يكون جزءا أساسيا من الكلمة المفردة، كالباء والتاء والثاء... وغيرها من الصوامتConsonant ، علاوة على الحركات Vowels وهي الفتحة والضمة والكسرة القصيرة والطويلة، وأنصاف الحركات وهي الواو مثل كلمة ولد، والياء في كلمة يدع.

---

[1]- عطية سليمان أحمد: في علم الأصوات الفونيمات فوق التركيبة في القرآن الكريم (المقطع والنبر سورة الواقعة نموذجا)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، دط، دس، ص 15.

[2]- المرجع نفسه، ص16.

الفونيم غير التركيبي أو فوق القطعي: هو عبارة عن ظاهرة صوتية أو صفة صوتية أو ملمح صوتي ذا مغزى في الكلام المتصل، أو هو ملمح صوتي تتأثر به وحدات صوتية قد تشتمل على أكثر من صامت أو حركة في المنطوق الكلامي». [1]

يعد الفونيم غير التركيبي ظاهرة صوتية تتأثر به وحدات صوتية تكون مشتمله على أكثر من صامت، أو أنها عبارة عن حركات في الكلام المنطوق.

«إن هذا النوع من الفونيمات، لا يكون جزء من تركيب الكلمة أو المنطوق، وإنما يظهر ويلاحظ فقط، حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن تستعمل جملة أو حين تضم كلمة إلى أخرى، ومن أمثلة الفونيمات غير التركيبية أو غير قطعية، النبر والتنعيم وغيرها».

توجد أنواع من الفونيمات، لا تكون جزءا من تركيب الكلمة، بل تلاحظ عند الاستعمال فقط. «إذا كانت هذه الملامح تنوع معاني الرسائل اللغوية كما يحدث تماما من التقابل بين السواكن والعلل فقد سميت هي أيضا فونيمات، وهذه الملامح كثيرة وأهمها: النبر"Stress"، والتنغيم"Intonation" ، وغيرها.

«هناك مصطلحان إنجليزيان يطلقان على النبر وهما Stress و Accent وله عدة تعريفات:

1– النبر إضافة كمية من الطاقة الفسيولوجية لنظام إنتاج الكلام... موزعة على القنوات الرئوية والتصويتية والنطقية.

2– انطباع من طاقة زائدة في النطق للمقطع المنبور، ينتج عنها نطق المقطع أعلى و أطول من المقاطع الأخرى في نفس الكلمة». [2]

تعددت تعريفات اللّغويين لظاهرة النبر، منهم من يعدها إضافة كمية من الطاقة الفيسيولوجية لنظام إنتاج الكلام، ومنهم من يعدها طاقة زائدة في النطق للمقطع المنبور، ويلاحظ أن جميع هذه التعريفات تتفق على معنى واحد وهو أن النبر يقتضي ضغطا على صوت ما.

المطلب الرابع: أهم أعلام الدرس الصوتي الحديث:

تقدمت الدراسات الصوتية في عصرنا تقدما كبيرا، وكان للباحثين الغربيين السبق في خوض غمار تلك المباحث فتعددت مناهج دراسة علم الأصوات وتنوعت موضوعاته، وقد أمد التقدم الصّناعي في بلدان الغرب الباحثين بوسائل

---

[1]– محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1996م، ص129.

[2]– أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1418هـ/1997م، ص 220-229.

وآلات جديدة ساعدتهم كثيرا في دراستهم. وقد أحرزت الدراسات اللّغوية في العصر الحديث تقدما كبيرا، حيث تعددت مناهج دراسة علم الأصوات، وتنوعت موضوعاته، وحققوا من وراء ذلك نتائج مبهرة في هذه الدراسة.

«وعادت الحياة إلى الدراسات الصوتية العربية من جديد، بعد ركود استمرت سنين كثيرة، وأسهم فيها رافدان كبيران وهما الدراسات الصوتية العربية القديمة عند علماء العربية وعلماء التجويد، والدراسات الصوتية لدى الغربيين على يد عدد من الباحثين العرب الذين درسوا في جامعات الغرب واطلعوا على مصادر هذا العلم، وكانت نتيجة ذلك ظهور عدد كبير من المؤلفات الحديثة في هذا العلم وهي متعددة المناهج، ومتنوعة الموضوعات وأهم ما وقفت عليه من أسماء الكتب العربية المؤلفة في علم الأصوات اللغوية في العصر الحديث»[1]:

«**الأصوات اللغوية للدكتور "إبراهيم أنيس"**، وهو أول كتاب متكامل باللغة العربية عن الدراسات الصوتية على المنهج اللّغوي الحديث.

ومناهج البحث في اللغة للدكتور "تمام حسّان" وفيه اهتمام كبير بعلم الأصوات التجريبي.

وعلم اللغة للدكتور "محمود السعران" قد أفاد فيه مؤلفه من كثير من مؤلفات الغرب في الدراسات الصوتية.

وعلم الأصوات للدكتور "كمال محمد بشر" وهو القسم الثاني من كتابه علم اللغة العام»[2].

المطلب الخامس: خصائص الدرس الصوتي العربي القديم والحديث

وبناء على كل ما تقدم، وما أثاره كل من القدامى والمحدثون من قضايا صوتية، جعلت علم الأصوات يرقى إلى مصاف علوم اللغة العربية باللغة الأهمية، يمكن تحديد أبرز السمات التي تميز بها كل من الدرسين الصّوتي العربي القديم والحديث.

أ– خصائص الدرس الصوتي عند القدماء: ومن أبرز ما تميزت به:

1– «درس القدماء الصوت كمدخل لغيره من أبواب الإدغام والقلب والإبدال، فهو وسيلة لغاية، وليس غاية في ذاته، ومن تم جاء الحديث عن الأصوات متناثرا في مداخل كتب النحو وثنايا المعجمات، أو في مطلع الدراسات الصرفية».

2– درس المعجميون ولاسيما "الخليل بن أحمد" ترتيب الأصوات ترتيبا مخرجيا، مفصلا القول في تصنيف المخارج وطبيعتها وهيأتها.

---

[1]– غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم الأصوات العربية، ص 16–18.

[2]– رمضان عبد التواب: مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1405هـ/1985م، ص 20،21.

3- اعتنى القراء بالأصوات عناية فائقة وذلك لأهميتها في تجويد وتلاوة القرآن، وما يتطلب ذلك من معرفة مخارج الحروف وطريقة نطقها ووصفها وما يحتاج إليه القارئ من أحكام التفخيم والترقيق والإشمام...

4- انتبه القدماء إلى الجهاز النطقي وأعضاءه، وحددوا كل عضو، باسمه وتحدث عن مخارج الأصوات بطريقه تفصيلية، ووصلوا بها إلى سبعة عشرة مخرجا.

5- اعتمد القدماء في دراستهم للأصوات على ما يسمى بالملاحظة الشخصية، فوضعوا القواعد الخاصة بها عن طريق تجربة الذاتية، وذلك من خلال تذوق الأصوات».[1]

علماء العرب القدامى درسوا الصوت بمختلف أبوابه باعتباره وسيلة لهدف معين، كما تطرقوا إلى ترتيب الأصوات ترتيبا مخرجيا ويعود الفضل في ذلك إلى "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، ومن جهة أخرى لقي علم الأصوات اهتماما فائقا من طرف القراء، من خلال معرفة مخارج الحروف وطريقة نطقها، كما أشار إلى جهاز النطق وأعضائه، إضافة إلى وضع القواعد الخاصة بالصوت.

ب- خصائص الدرس الصوتي عند المحدثين:

تحددت معالم الدراسة الصوتية الحديثة في جملة من النقاط حيث:

1- « فصل المحدثون في الدرس الصوتي بين دراسة الصوت المجرد وعرف بـ (الفون Phone)، ودراسة وظيفة الصوت داخل البنية وعرف بـ (الفونيم Phonéme).

2- جاء وصف المحدثين للجهاز النطقي غاية في الدقة، وذلك لم توفر لديهم من علم بالتشريح ووظائف الأعضاء، بالإضافة إلى ما توفر لديهم من آلات حديثة، فوصفوا كل عضو وصفا دقيقا، مبينين أثره فيوصف الصوت ومخرجه، كما لاحظوا حركة الوترين الصوتيين وحالاتهما المختلفة في النطق، ومن ثم وضعوا ثلاثة معايير هي (مخرج الصوت، وصف الصوت، حركة الوترين الصوتيين) لتصنيف الأصوات»[2].

قام المحدثون بعزل الصوت ودراسته مفردا مجردا، وهذه الدراسة تقتضي تحديد صفاته ومخارجه وأعضاء النطق المسؤولة عن إصداره، والفرع الأساسي من علم الأصوات الذي اتخذ من صفات الحروف ومخارجها مادة له هو علم الأصوات العام، وبالإضافة إلى هذا الفرع يوجد علم الأصوات الوظيفي الذي تجاوز دراسة الصوت المفرد إلى اكتشاف وظيفته في الكلم، وبهذا تدرك عدة ظواهر صوتية.

---

[1]- نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، دس، ص 61- 63.

[2]- المرجع نفسه، ص94.

3– « تطورت دراسة علم الأصوات الفيزيائي، وعلم الأصوات السمعي، لما تطلب كل منها الاستعانة بعلوم الفيزياء والفسيولوجي ووظائف الأعضاء، وهما أحدث فروع هذه الدراسة.

4– برز المحدثون في دراسة الفونيمات فوق التركيبة ك (المقطع) الذي قسّم الكلمة إلى أجزائها، وبين أقصى عدد المقاطع في اللغات.

5– كذلك اهتم المحدثون (بالنبر)، ولاسيما في اللّغات النبرية، التي تؤدي فيها النبر إلى اختلاف الصيغة بين الأسماء والأفعال.

6– كذلك اعتنى المحدثون بـ (التنغيم) واصفين أسبابه وأقسامه، مبينين درجات التنغيم العالية والمنخفضة والمستوية، موضحين أثر هذه الظاهرة في اختلاف المعنى من جهة، ودلالة السياق من جهة أخرى، وهكذا درس المحدثون الأصوات دراسة متخصصة في ذاتها ومن أجل ذاتها، ولم يدرسوها كوسيلة لغاية أخرى كما كان الحال عند القدماء».[1]

وعليه فإن علماء الأصوات المحدثون تعرّضوا لجملة من الظواهر الصوتية والتي تدرس علاقة الأصوات مع بعضها داخل التركيب اللغوي، فالمقطع الصوتي مثلا يحدد الأجزاء التي تتكون منها الكلمة وعدد مقاطعها، فكلمة (نجح: ص ح+ ص ح+ ص ح) تتكون من ثلاث مقاطع، والنبر الصوتي هو الذي يبين أي مقاطع الكلمة يعرف ضغطا، مثل: (سبّح: ص ح ص+ ص ح + ص ح) –حيث أن رمز (ص) هو الحرف الصامت، ورمز (ح)– هو الحركة، فالمقطع الثاني من الكلمة هو الذي يعرف بروزا مقارنة بباقي المقاطع إضافة إلى ظاهرة التنغيم الصوتي تعرف من خلالها درجات الصوت المختلفة من ارتفاع أو انخفاض.

المبحث الثاني: ظاهرة التنغيم الصوتي

تمهيد:

لنجاح العملية التواصلية بين طرفي الخطاب، يجب أن تكون الرسالة اللّغوية واضحة المعاني لتتم عملية الفهم، وعلاوة على وضوح المعاني هناك سبيل آخر يساهم في إيصال المقاصد للمتلقي متمثلا في طريقة الأداء المصاحبة للكلام الملقى، والتي تكون عبارة عن تلوينات صوتية متفاوتة في الدرجة بين ارتفاع وانخفاض، تكسو المنطوق كله وتكسبه موسيقى ونغما، ويصطلح على مجموعة هذه التلوينات التنغيم الصوتي، هذه الظاهرة الصوتية الأدائية التي أولاها علماء العربية اهتماما كبيرا لما لها من دور فعال في توجيه الدلالات وإبراز المعاني، وتكون خارجة عن التركيب بحيث يدرك كنهها

[1]– نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص94.

عند استعمال ونطق عبارة معينة في سياق تخاطبي محدد، ولكي يؤذي التنغيم وظائفه على أكمل وجه تتضافر معه جملة من الظواهر فوق التركيبة الأخرى من نبر وفواصل صوتية ووقفات وغيرها.

واستنادا إلى كل ما تقدم تُطرح التساؤلات الآتية: ما مفهوم التنغيم؟ وبما أنه ظاهرة مهمة، هل أُثِر عند علماء العربية القدامى دراسات أو تلميحات تدل على تفطنهم لهذه الظاهرة؟ وكيف تناوله المحدثون في مصنفاتهم؟ وبما أنه تباين واختلاف في درجات الصوت، فيما تتمثل صوره ومستوياته المختلفة؟ وبما أنه من الفونيمات غير التركيبة، لابد أن تربطه علاقة ببعض الظواهر التي تنتمي إلى نفس المجموعة الفونيمية فما هي هذه الظواهر؟ وفيما تتلخص العلاقة بينهما؟

المطلب الأول: ماهية التنغيم

1- المفهوم اللغوي:

أ- في المعاجم العربية التراثية:

وردت في المعاجم العربية القديمة عدة تعريفات للتنغيم، أصّلوا فيها للجدر الثلاثي "نَغَمَ"، يصب فحواها في قالب واحد، ومن هذه التعريفات ما ذهب إليه

-"ابن فارس" (ت 395هـ) في معجمه "مقاييس اللغة" قائلا: «نَغَمَ: النون والغين والميم ليس إلا النغمة: جرس الكلام وحسن الصوت بالقراءة وغيرها، وهو النَغَمُ، وتنغَمَ الإنسان بالغناء ونحوه».[1]

- والجوهري (ت 398هـ) في "الصحاح": «نغَمَ، النَّغَمُ، الكلام الخفي تقول منه: نَغَمَ، يَنْغَمُ، ويَنْغَمُ نغَماً، وسكت فلان فما نغم بحرف وما تنغم مثله، وفلان حسن النغمة، إذا كان حسن الصوت في القراءة». [2]

- و"الزمخشري" (ت 538هـ) في معجمه "أساس البلاغة" قال: «نَغَمَ هو حسن النغمة، ونَغَمَ بكلمة، ونَاغَمَهُ» [3]

- و"الفيروز أبادي" (ت 817هـ) في معجمه "قاموس المحيط" قال: «النَغَمُ محركة، وتسكن، الكلام الخفي، الواحدة، بهاء ونَغَمَ في الغناء، كطرب وسمع، وتَنغمَ، ونغم في الشراب، كنغم والنغمة بالضم، الجرعة، ج ، وقد نغم نفساً». [4]

عند تتبع ما ورد في تفسير مادة "نَغَمَ" في المعاجم العربية القديمة، يلاحظ المتصفح أنها لا تخرج عن دائرة معاني أربعة: جرس الكلمة، حسن الصوت في القراءة، والكلام الخفي، وحسن النّغمة.

---

[1]- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا الرازي: مقاييس اللغة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 1999م، مادة "نَغَمَ."

[2]- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 1430هـ/ 2009م، مادة نَغَمَ.

[3]- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد: أساس البلاغة، ج2، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1419هـ/ 1998م، مادة نَغَمَ.

[4]- الفيروز أبادي، محمد الدين بن يعقوب: قاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1426هـ/ 2005م، مادة نَغَمَ.

ب- في المعاجم العربية الحديثة:

إذا نظر في المعاجم العربية الحديثة يلاحظ أن أصحابها قد ساقوا تفسيرات عدة للتنغيم من أبرزها ما جاء في:

المعجم الوسيط: «(نغم) - نَغْماً: تكلم بكلام خفي، ويقال: سكت فما نغم بحرف وفي الغناء: طرّب فيه، (ناغمه): حادثه نغْماً، (تنغَّم): نَغَم، (النّغامُ): الكثير النغمة (النَّغمة): جرْس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها، وصوت موقع، (ج) أنغام، وأناغيم) .النّغمة): الجرعة. (ج) نُغَمٌ (النّغُوم): يقال: رجل نغوم: حسن النغمة».[1]

كما ورد في معجم "المنجد في اللغة العربية المعاصرة": «نَغَمَ: قرأ لحن غناء، نغم مقطوعة موسيقية، طرب في الغناء تمرن على ألحان بدون إدخالها في كلمات معينة، غيّر طبقة الصوت ونبرته، «نَغَمَ لحنا»، مُنغِم: متمرن على ألحان بدون إدخالها في كلام معين، تنغيم: إخراج نغم، أداء موسيقي تلحين، تنغيم مضبوط، تنغيم مخالف للإيقاع، لحن منغَّم، لحن غير مرتبط بكلام معين».[2]

أما في "معجم اللغة العربية المعاصرة" جاء: «نَغَمَ في ينْغَم وينغِم، نَغْماً، فهو ناغم، والمفعول منغوم فيه. نغم الشخص: تكلم بكلام خفي "كان الولد ينْغَم وهو يتأهب للنوم" سكت فما نغم بحرف: ما نطق(...). تنغَّم/ تنغم في يتنغّم، تنغّماً، فهو متنغّم، والمفعول متنغّم فيه تنغّم الشخص: نغم: تكلم بكلام خفي "صمت ولم يتنغم بحرف" »[3]

هذا وجاء في "المعجم الوجيز": «(نغم) - نغْما: تكلم بكلام خفي. وفي الغناء: طرب فيه، (ناغمه): حادثه نغْماً، (النّغام): الكثير النّغم، (النّغمُ): التطريب في الغناء وحسن الصوت في القراءة وغيرها وصوت موقع (ج) أنغام، (النغمة): جرس الكلمة»[4].

الاتفاق حول تعريفات للتنغيم لم يقتصر على أصحاب المعاجم القديمة لوحدهم، بل حتى المحدثون اتفقوا على أن التنغيم هو الكلام الخفي أو جرس الكلمة أو التمرن على الألحان أو الطرب في الغناء، وأغلب هذه المفاهيم أوردها القدامى في مصنفاتهم.

2- المفهوم الاصطلاحي:

يعد مصطلح التنغيم من المصطلحات الحديثة التي نقلها «دارسوا علم الأصوات المحدثون عن الدرس الغربي، وهو ترجمة لمصطلحIntonation ، وقد اختلف في ترجمته فقد ترجمه "إبراهيم أنيس" "بموسيقى الكلام" أو "التلوين

---

[1]- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1426هـ/ 2005م، مادة نَغَمَ.

[2]- أنطوان نعمه وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، مادة نَغَمَ.

[3]- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008م، مادة نَغَمَ.

[4]- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، القاهرة، مصر، ط1، 1400هـ/ 1980م، مادة نَغَمَ.

الموسيقي" عند بعضهم، وقيل النبر الموسيقي، والنغمة الموسيقية» [1]وقد أورد المحدثون في كتبهم عدة تعريفات للتنغيم ومن أبرزهم "تمام حسان" الذي عرفه بأنه « ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام». [2] وأضاف "رمضان عبد التواب" تعريفا آخر فقال: «أما التنغيم فهو رفع الصوت وخفضه أثناء الكلام». [3]

ويضيف "محمد جواد النوري" قائلا: «يطلق مصطلح التنغيم على تلك التغيرات التي تحصل في درجة نغم الصوت في الكلام المتصل، وهي تغيرات تتعلق بدرجة نغم النوتة الموسيقية، أو هو ارتفاع الصوت وانخفاضه بواسطة تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين، وذلك من أجل التعبير عن الحالات النفسية المختلفة وعن المشاعر والانفعالات».[4]

يشير "محمد حسن حسن جبل" إلى دور المقام في التنويع في الأداء، وتغير النَغَمِ في قوله: يقصد به «التنويع في أداء الكلام بحسب المقام المقول فيه، فكما أن لكل مقام مقالا، فكذلك لكل مقال طريقة في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه، فالتهنئة غير الرثاء والأمر والنهي، غيرهما الشفقة، وهما غير التأنيب والتوبيخ والتساؤل، والاستفهام غير النفي وهكذا».[5]

ويضيف أيضا "خليل إبراهيم العطية" في تعريفه للتنغيم قائلا: «أما التنغيم " Intonation "فهو تغيرات تنتاب صوت المتكلم من صعود إلى هبوط، ومن هبوط إلى صعود، لبيان مشاعر الفرح والغضب، والنفي والإثبات والتهكم والاستهزاء والاستغراب».[6]

في اصطلاح دارسي علم الأصوات المحدثين التنغيم إجمالا يعني ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام بالاتفاق بينهم، وهذا التباين مرده الحالة الشعورية التي تنتاب المتكلم، فالسياق هو الذي يحدد طريقة الأداء، والتي بدورها تزيل اللبس عن مقاصد المتكلم وتجعل المعاني واضحة بالنسبة لمتلقيها مما يسهل عليه فهمها واستيعابها.

المطلب الثاني: ظاهرة التنغيم عند القدامى والمحدثين

التنغيم ظاهرة صوتية مميزة لدى الإنسان، فهو يستعمله للتواصل مع غيره، ومع مرور الوقت تطورت هذه الظاهرة وأصبحت مهارة تمارس فهي تساعد على تبليغ مختلف المقاصد والغايات والتعبير عن الأفكار والمشاعر، وقد شغل التنغيم

---

[1]- عاطف فضل محمد: الأصوات اللغوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 1434هـ/2013م، ص157.

[2]- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1990م، ص164.

[3]- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص106.

[4]- محمد جواد النوري: علم الأصوات العربية، ص 273، 274.

[5]- محمد حسن حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الأدب، القاهرة، مصر، ط4، 1427هـ/ 2006م، ص 177.

[6]- خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، ص 63.

حيزا كبيرا لدى علماء العرب القدامى والمحدثين واعتنوا به عناية شديدة لماله من آثار تساعد على فهم المعاني وتحديد الدلالات.

أ– عند القدامى: «لو حاولنا أن نبحث في كتب التراث اللغوي والنحوي عن بذور التنغيم، فإننا نجده ماثلا في الجمل المنطوقة –كما ذكر – لأن العربية قد وصلت إلينا مكتوبة ولم يكتب القدماء عنه شيئا، لكنهم أدركوا قيمته عبر إشارات هنا وهناك تظهر بُعد نظرهم، وروعة تفكيرهم حيال هذا الموضوع، وإن كانت هذه الإشارات لا تشكل نسقا محكما لظاهرة التنغيم، لكنها تعطي إحساسا عميقا بأن رفض هذه الظاهرة تماما غير واردٍ» [1] .

وعليه فإن علماء العربية القدامى قد عالجوا ظاهرة التنغيم، وهذا ما أقره "كمال بشر " بقوله: «الرأي عندنا أن علماء العربية شأنهم في ذلك شأن سائر الناس خبروا التنغيم ومارسوه في أدائهم الفعلي للكلام، إنهم فعلوا ذلك لا بالتلقين أو التعليم المرسوم القواعد والقوانين، وإنما كانوا يأتون به على وجهه الصحيح بالعادة والسليقة كما كانوا يفعلون مع الأحداث اللغوية الأخرى، ولا نبالغ إذا قررنا أنه كان للعرب في القديم (وفي الحديث أحيانا) إدراك عميق بموسيقى الكلام ولحونه، ويظهر ذلك على وجه الخصوص في صناعة الشعر وإنشاده». [2]

تناول علماء العربية ظاهرة التنغيم بالفطرة، دون أن يتطرقوا إلى دراسة القواعد وتقنينها، ويتجلى هذا في إدراكهم الواسع لموسيقى الكلام من خلال الأشعار التي كانوا ينظمونها وينشدونها. «والخطوة الرائدة لهذا الإدراك هي التي ألقى بها إلينا شيخ العربية الأول "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، في صورة بحور الشعر وأوزانه، شكل الرجل بحوره بتلوينات موسيقية تتسق مع هيئات التراكيب وعناصرها المكونة لها، فعل ذلك بالنظر والتفكير العميق باستقصاء لحون الشعر الذي يلفّه ويلفّ الجو العام في بيئته، وكان ما كان، وهو عمل جميل جليل ينبئ عن وعي صائب وإدراك صحيح لما ينتظمه هذا الفن الأدبي من موسيقى ذات نغمات متنوعات تنوع أنماط الأبنية الشعرية، ولكن فاته أن ينمط هذه النغمات ويرسم حدودها حتى تستبين الفوارق بينها، بتعيين درجة كل نغمة وطبيعتها الملائمة لهذا البناء الشعري أو ذاك، ومعناه أن الخليل لم يحاول أو لم يشأ أن يقدم فكرة عامة لإطار التنغيم في الشعر، تجمع الخطوط والخيوط في صورة نظرية علمية متكاملة». [3]

تعد الأفكار التي تطرق إليها الخليل من خلال المجهودات الجبارة التي قام بها في تفسيره لمعاني التنغيم، والكشف عن جمالياته من خلال ما يتضمنه خطوة جليلة لم يستطع أحد أن يضاهيه فيها.

---

[1]– عاطف فضل محمد: الأصوات اللغوية، ص 159.

[2]– كمال بشر: علم الأصوات، ص 547، 548.

[3]– كمال بشر: علم الأصوات، ص 548–549.

وهذا "سيبويه" يقول في باب الندبة: «اعلم أن المندوب مدعو، ولكنه متفجع عليه فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنهم يترنمون بها، فكأنه يعني أنهم يلونونها بموسيقى معينة ونمط من التنغيم خاص ،كما بين أهمية التنغيم ووظيفته النحوية، وفي الانتقال الأسلوبي من باب نحوي إلى باب آخر بارتفاع درجة الصوت وانخفاضها أثناء النطق، حيث قال "سيبويه" في تحليله بيت "جرير":

أَعَبْدا حَلَّ فِي شُعبِي غَرِيبًا أَلُؤْماً لاَ أَبَا لكَ واغْتِرابَا

وأمّا (عَبْداً) فيكون على ضربين: إن شئت على النداء، وإن شئت على قوله (أتفتخر عبدا)، ثم حذف الفعل. فالنغمة الصوتية نقلت المعنى من النداء إلى الاستفهام» [1] .

سيبويه درس ظاهرة التنغيم، وفي أحد أبواب كتابه أشار إلى باب الندبة فتكلم عن المندوب بأنه مدعو، فهذا يدل على أنهم يتلونون بموسيقى معينة، كما أشار أيضا إلى التنغيم من جانبه النحوي.

– وقد أدرك "ابن جني" ظاهرة التنغيم والتفت إليها التفاتة رائعة، حين قال: «وقد حذفت الصفة، ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة، لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك، من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم وما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك ».[2]

عند نطق عبارة "سير عليه ليل"، وكانت هناك إطالة في الصوت يفهم أنه طويل، هذه الصفة الذي حذفت من القول، لأن طريقة أداء العبارة دلت عليها، فنغمة الصوت هنا أغنت عن التصريح بالصفة، فكأنما التنغيم هنا هو عبارة عن قرينة لفظية ساعدت على فهم المعنى.

كما أنه اختتم مقدمة كتابه "سر صناعة الإعراب" الذي كرسه لدراسة أصوات العربية، بقوله: «وهذا العلم هو علم الأصوات والنغم، فالتعبير بالمصطلح "النغم" فيه دلالة واضحة على إدراك أن الكلام المنطوق يصدر منغّما، وأن هذا التنغيم جزء لا يتجزأ من خواص الكلام» [3]، أشار "ابن جني" إلى مصطلح النغم صراحة، عكس سابقيه الذين يجب تأويل أقوالهم وشرحها ليدرك معنى التنغيم عندهم «وملحم آخر لظاهرة التنغيم يظهر عند "عبد القاهر الجرجاني" صاحب "دلائل الإعجاز" الذي يعد ركيزة من ركائز علم اللغة، التي استند عليها المحدثون، لم تفت "عبد القاهر" ظاهرة التنغيم، فقد ألمح إليها في سياق حديثه عن أسلوب الاستفهام في الآية: «أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ »(سورة

---

[1]–سيبويه، أبو بشر عَمرو عثمان بن قنبر: الكتاب، ج2، ص 220.

[2]–ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، ج2، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دب، دط، دس، ص 370، 371.

[3]– المرجع نفسه، ص 371.

الأنبياء62)، ففيها استفهام تقريري يدل على توبيخ الفاعل، ودليل ذلك الإقرار في طلب الجواب، لأنهم لا يعلمون على وجه الحقيقة هذا الفاعل» [1]أدرك "عبد القاهر الجرجاني" جوهر التنغيم من خلال تفسيره للآية القرآنية، بحيث أن الاستفهام يخرج من معناه الحقيقي الذي يطلب فيه الإجابة إلى غرض هو توبيخ الفاعل، والأداء التنغيمي للآية ساعد على إدراك هذا القصد.

فهذه النصوص والإشارات المتفرقة في كتب ومصنفات العرب القدامى، «قد أثبت بما لا يدع مجالا لإنكار منكر أن العربية عرفت الجانب التنغيمي في الأداء اللغوي، وأن علماءها القدامى قد شعروا بذلك، وإن كانوا لم يخضعوا ما شعروا به لمزيد من الدراسة والتقنين والتقعيد، وحسبُهم أنهم فعلوا ذلك في تلك الفترة المتقدمة من فترات تاريخ اللّغة العربية» [2]

لا يمكن إنكار أن العربية عرفت الجانب التنغيمي في الأداء اللّغوي، كما أن العلماء القدامى أحسوا بذلك حتى و إن لم يخضعوا ما أحسوا به بمزيد من الدراسة.

ب_ عند المحدثين:

لقد عرفت ظاهرة التنغيم حضورا في مصنفات علماء اللغة المحدثين، الذين أكدوا على الدور التمييزي المهم لهذه الظاهرة في اللغة العربية، الذي تؤديه على غرار الظواهر الصوتية الأخرى، وقد أحرزت دراساتهم وأبحاثهم حول هذه الظاهرة نجاحا لافتا للنظر، نظرا للتطور التكنولوجي والعلمي الذي عرفه العصر الحديث على حد سواء، إذ قلما نجد كتابا في الأصوات إلا وتناول التنغيم هذا الملمح الصوتي الأدائي ولو بشيء من الإيجاز، ومن الباحثين الذين كانت لهم بصمات واضحة في التنظير لهذه الظاهرة:

تمام حسّان: «الذي جعل التنغيم من قرائن التعليق اللفظية في السياق، وهو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق ورأى أن الجملة العربية تقع في صيغ تنغيمية، وسماها (هياكل من الأنساق التنغيمية) تأخذ أشكالا محددة، والهيكل التنغيمي الذي تأتي به جملة الاستفهام غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات مثلا، فلكل جملة هيكل تنغيمي خاص بها ».[3]

---

[1]- عاطف فضل محمد: الأصوات اللغوية، ص 161.

[2]- عبد الرحمان حسن العارف: اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص 159.

[3]- عاطف فضل محمد: الأصوات اللغوية، ص 163.

اعتبر "تمام حسان" التنغيم عنصرا من عناصر الكلام، الذي يُهتدى به إلى إدراك المعاني المتوخاة من كلام معين، ويمكن التفريق بين أنماط الجمل في العربية بواسطة التنغيم، والمثال الذي ساقه بنمطي الاستفهام والإثبات يحيل إلى أن طريقة أداء كل من الجملتين تختلف.

«ورأى أن التنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، وربما كان ذلك لأن ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات، كالنقطة والفاصلة»[1].

ويعرف "أحمد مختار عمر" التنغيم أو التنوعات التنغيمية –كما يسميها – بأنها « تتابعات مضطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية، على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة»[2].

يرى" أحمد مختار عمر" في تعريفه للتنغيم بأنه تتابعات من مختلف أنواع الدرجات الصوتية، لأنه يصف الجمل وأجزائها، ولا يصف الكلمات المختلفة .

«ويرى أنّ معظم اللغات يمكن أن تسمى لغاتا تنغيمية، والسبب عنده أنها تستخدم التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني، وإن اختلاف التنغيم يعود إلى كيفية التعبير عن مشاعرنا وحالتنا الذهنية من كل نوع، كما يمكننا أن نغير الجملة من خبر إلى استفهام إلى تعجب، وهكذا دون تغير في شكل الكلمات»[3].

إن معظم اللغات يمكن أن تسمى لغات تنغيمية، لأنها تستخدم التنوعات الموسيقية في الكلام، واختلاف التنغيم يعود إلى كيفية التعبير عن الأحاسيس ،كما يمكن تغيير الجملة دون المساس بشكلها.

«كما تحدث عن اختلاف النغمات فتسمى مستوية إذا كانت ثابتة، وتسمى صاعدة إذا اتجهت نحو الصعود، وتسمى هابطة إذا اتجهت نحو الهبوط، وتسمى صاعدة هابطة إذا غيّرت نوعها في اتجاهين إلى أعلى ثم إلى أسفل، وهابطة صاعدة إذا انعكست»[4].

كما تحدث "أحمد مختار عمر" عن أنواع النغمات المختلفة الصاعدة والهابطة والمستوية، والصاعدة الهابطة وكذلك الهابطة الصاعدة.

---

[1]– تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994م، ص 226، 227.

[2]– أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 229.

[3]– المرجع نفسه، ص 226.

[4]– عاطف فضل محمد: الأصوات اللغوية، ص 166.

أما "**سعد مصلوح**" فكان حديثه عن التنغيم من زاويتان هما: «وظائف التنغيم: فيرى أنها تختلف باختلاف اللغات، ووفق ذلك قسم اللغات إلى لغات نغمية ولغات تنغيمية، ويرى أن اللغات النغمية تعنى بنظام من النغمات بالاستخدام الفعلي للكلمة في الجملة، وأما اللغات التنغيمية ومنها العربية التي يكون فيها التنغيم على الجملة، والهدف من التنغيم في العربية إبراز الدلالات التركيبية الأساليب اللغوية .وأما الزاوية الثانية: الأنماط التنغيمية فقد ميز بين هذه الأنماط من خلال الاختلاف في تردد ما يسمى (بنغمة الأساس) بين الرجل والمرأة»[1].

أشار "سعد مصلوح" إلى الفرق بين النغم والتنغيم فالنغمة تختص بالكلمة المفردة، أما التنغيم فيكون في الجمل، وكأن النغمة جزء من التنغيم ومصاحبة له، كما وضح الوظيفة التي يقوم بها التنغيم من توضيح وإبانة عن معاني الجمل، وتحدث أيضا عن أنماط التنغيم.

المطلب الثالث: صور التنغيم

الخطاب اللغوي الذي يصدر عن المتكلم يكون مصحوبا بموسيقى، وهذا العنصر الموسيقي في الكلام يصطلح عليه التنغيم والذي يفرض على الملقي عدم إتباع درجة صوتية واحدة من بداية كلامه إلى نهايته، فتنتج نغمات متباينة، وهذا التنوع والاختلاف يمكن تفسيره بطريقتين: **تفسير فيزيائي** وهذا ما أقره "عبد القادر عبد الجليل" حين قال: «يدل التنغيم بمصطلحه الصّوتي على مستويات الارتفاع أو الانخفاض في الدرجات النغمية المستخدمة في الكلام الإنساني، وإنّ هذا التلون في الدرجات صعودا أو هبوطا يعود إلى نسبة ذبذبة الأوتار الصوتية التي تحدث نغمة موسيقية» [2].

أما "كمال بشر" فقد ربط التنوع الصوتي بالجانب النفسي للمتكلم، والمواقف والظروف المحيطة بالكلام، حيث قال: «وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام، ونغمات الكلام دائما في تغير من أداء إلى آخر، ومن موقف إلى موقف، ومن حالة نفسية إلى أخرى»[3].

ومعنى هذا أن نفسية المتكلّم تنعكس على درجة الصوت التي يلقى بها كلامه، فإن كان في حالة حزن مثلا يتكلم بصوت منخفض خافت يتناسب مع حالته، وإن كان في حالة غضب يتكلم بصوت مرتفع، وفي كلتا الحالتين تكون غايته من الرّفع والخفض في الصوت إيصال حالته الشعورية للمتلقي، قبل أن يفك شيفرة الرسالة اللّغوية.

وعند استقراء حديث "كمال بشر" عن التنوع في موسيقى الكلام يستشف أنه اعتبر نغمات الكلام اثنتين، وهذا ما صرح به حين قال: «والتنغيم على الرغم من اختلاف صوره وإمكاناته يمكن حصر نغماته الرئيسية في نغمتين اثنتين:

---

[1]- سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1426هـ/ 2005م، ص 221- 226.

[2]- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ/ 2002م، ص374.

[3]- كمال بشر: علم الأصوات، ص 533 .

1- النغمة الأولى: وهذه النغمة تسمى النغمة الهابطة (Falling tone)، وسميت كذلك للإنصاف بالهبوط في نهايتها، على الرغم مما قد تنتظمه من تلوينات جزئية داخلية.

2- النغمة الصاعدة (Rising tone): سميت كذلك لصعودها في نهايتها، بالرغم من تنوع أمثلتها الجزئية الداخلية»[1]

ومن المستحسن هنا الإتيان بأمثلة وشواهد عن كلتا النغمتين، ومن أمثلة النغمة الهابطة - والتي «يكثر ورودها في الجمل التقريرية، والجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصة» [2]- ما يلي:

- قال الله تعالى في معاتبة خير خلقه صلى الله عليه و سلم: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ سورة التوبة، الآية 43، إذ أننا نكاد نسمع ذلك التنغيم الهابط الذي عبّر عنه ألطف معاتبة والتي لا يمكن أن نتصورها إلا بذلك التنغيم الهادئ.

- وقال الله تعالى أيضا: ﴿**فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ**﴾ سورة الأعراف الآية 53، على لسان بعض المعرضين عن الحق، وهم ينالون الجزاء المحتوم، وقد استوثقوا أنهم يطلبون ما لا يحق لهم، فكانت نغمة الطلب هابطة، وقال أبو الطيب المتنبي في بيت شعري له

أَيَدْري الرّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا وَأَيَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا؟

فالشاعر هنا يتمنى لو أن الربع يدري ما فعل من أراق دمه، والأنسب لهذه المعاني أن تكون نغمة الاستفهام متسمة بالهبوط ».[3]

«كما أن المتكلم يستخدم النغمة النازلة إذا كان يريد أن يخبر المستمع بأنه ربح الجائزة، فيقول: ربحت الجائزة »[4] من خلال هذه الأمثلة وغيرها الكثير يمكن إدراك أن التنغيم الهابط يختص بالجمل الاستفهامية، وخاصة عندما يكون الاستفهام بأدوات معينة من قبيل (لِم - هل - الهمزة — أي) الواردة في الأمثلة السابقة، وكذلك الجمل التقريرية والتي يهدف المتكلم من خلال إلقائه لإفادة المستمع وإخباره بأمر يجهله.

---

[1]-كمال بشر: علم الأصوات، ص 534- 536.

[2]- حسام البهنساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2004م، ص 167.

[3]- مزاحم مطر حسين: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني - الاستفهام أنموذجا - ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج6، ع3-4، 2007م، ص 45.

[4]- شحدة فارع واخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط3، 2006م، ص 96.

ومن أمثلة النغمة "الصاعدة" «وتكون في جمل الاستفهام التي تتطلب الإجابة بـ "نعم" أو "لا"، وكذلك في الجمل المعلقة على شرط مثلا»[1]:

« قال الله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ سورة هود الآية 14، وقوله أيضا:﴿ **فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ**﴾ سورة المائدة الآية 91، إذ إن دلالة الأمر واضحة في هاذين النصين، ونغمة السؤال صاعدة، تدعوا السامع بصوت ممدود إلى التسليم والانتهاء امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى.

كما نجد نغما مرتفعا صاعدا في الاستفهام، الذي أريد منه معنى التشويق كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ سورة الصف الآية 10.

وغرض التعظيم من الأغراض التي يناسبها ذلك التنغيم الصاعد حتى يؤدي معنى الإشعار بعظمة ذلك الأمر، كما في قول الشاعر:

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرٍ »[2]

«إذا جيت تتفاهم: وهذا المثال في جملته انتهى بنغمة هابطة، لأن الكلام قد تم وأصبحت الجملة كلها تقريرية، أما الجزء الأول وهو جملة الشرط (إذا جيت) فهو كلام معلق، أي لم يتم ويتوقف تمامه على الجواب». [3]

وهذا التحديد الثنائي، الذي أقره "كمال بشر" لنغمات الكلام من صاعدة وهابطة لا يعني إغفاله لأنواع أخرى للتنغيم وإن لم يذكرها صراحة كان له تلميح بوجودها في إطار تعريفه للنغمتين الأساسيتين حسبه، وبناء على هذين النوعين من النغمات، أضاف بعض اللّغويين أنواعا أخرى للتنغيم، من منطلق الاختلاف في اتجاه النغمات الذي يعتري الوحدات الداخلية في منطوق معين، وفي هذا السياق يقول "عبد العزيز أحمد علاّم": «ولكن هذا الارتفاع وذلك الهبوط يكون دائما حول متوسط ترددي ثابت، وقد يكون التغيير بالصعود ثم الهبوط، أو بالهبوط ثم الصعود، وذلك كله بدرجات متفاوتة» [4]، من هذا المنطلق يدرك أن للتنغيم صورا أخرى، **كالنغمة المستوية، الصاعدة الهابطة، الهابطة الصاعدة.**

3- النغمة المستوية: «ومعناها وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة، وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة، وبالتالي تكون لدينا النغمات المستوية الآتية: النغمة المستوية السفلى – النغمة المستوية المتوسطة –

---

[1]- حسام البهنساوي: علم الأصوات، ص 167.

[2]- مزاحم مطر حسين: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني- الاستفهام أنموذجا-، ص 44، 45.

[3]-كمال بشر: علم الأصوات، ص 537.

[4]- عبد العزيز أحمد علاّم وعبد الله ربيع محمود: علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1430هـ/ 2009م، ص 319.

النغمة المتوسطة العليا، ويرمز لها بخط أفقي يوضع في أعلى السطر أو وسطه أو أسفله، تبعا لكون النغمة المستوية عالية أو متوسطة أو منخفضة»[1]، ومن أمثلتها:

- «قال الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10)**﴾ سورة القيامة، فالوقف على البصر والقمر أولا، والقمر ثانيا، وقف على معنى لم يتم فتظل نغمة الكلام مسطحة دون صعود أو هبوط».[2]

- «قال الكميت الأزدي:

وَمَا تَرَى الدّهْرِ قَدْ أَبَادَ مُعِدًّا وَأَبَادَ القُرُونَ مِنْ عَهْدِ عَادِ.

فهذا البيت يقرأ بنغمة صوتية مستوية، مما عبّر فيه عن الاستفهام بالتنغيم، والتقدير: أما ترى؟».[3]

التنغيم هو العنصر الموسيقي في الكلام، وله أنواع مختلفة من الصور من بينها النغمة الهابطة لاتصافها بالهبوط في النهاية، والنغمة الصاعدة لاتصافها بالصعود، وكذلك النغمة المستوية التي تدل على وجود عدد من المقاطع، تكون درجاتها محددة فتكون إما كثيرة أو قليلة أو متوسطة، وتنتج نغمات مختلفة.

4- النغمة الصاعدة الهابطة: «وذلك بأن تكون البداية هابطة يعقبها صعود، يليه هبوط في النغمة»[4]. ومن أمثلتها: «قال الله تعالى ﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49)**﴾سورة الدخان الآيتان 48-49، فالتنغيم في (ذق) حملها قصيرة، أما الجملة الثانية (إنك أنت العزيز الكريم) فينخفض الصوت»[5].

«وهناك استفهام يبدأ بالأداة فيتسم بنمط تنغيمي صاعد هابط كما في قوله تعالى ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (9)**﴾**سورة** الزمر الآية 09، فالنغمة ترتفع على (يستوي) بالقدر الذي يوضح دلالة الأسلوب»[6].

5- النغمة الهابطة الصاعدة: «وهذه تعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة أقل منها، ثم درجة

---

[1]- عبد الرحمان أيوب: أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، القاهرة، مصر، ط2، 1968م، ص 153،154.

[2]- عطية سليمان أحمد: في علم الأصوات الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم (المقطع والنبر) سورة الواقعة نموذجا، ص 303.

[3]- سامي عوض – عادل علي نعامة: دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث الجامعية، مج 28، ع 1، 2006م، ص 100.

[4]- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: مقدمة في أصوات اللغة العربية، 204.

[5]- عبد القادر بن فطة: أصالة التنغيم في القران الكريم، مجلة حوليات التراث، مجلة علمية محكمة سنوية، ع 18، 2018م، ص 79.

[6]- نادية رمضان النجار: اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص 91.

عالية، ويرمز لها بالرمز ↓ ويوضع فوق الكتابة الصوتية المتجهة من اليسار إلى اليمين»[1].

ترد في النغمة الهابطة الصاعدة درجة عالية في مقطع أو أكثر، كما توضع فوق الكتابة الصوتية، حتى يفهم المعنى المراد من ذلك.

المطلب الرابع: وظائف التنغيم

بالرغم من اعتبار التنغيم جزءا من النظام الصوتي للغة العربية كونه ملمح أدائي، إلا أنه يتجاوز المستوى الصوتي ليشمل المستويين النحوي والدلالي، وما استدعى هذا التجاوز تميزه بوظائف تنطوي تحتها قضايا هي من صميم المستويين السابقين الذكر، بحيث يعطي التنغيم دلالات ومعان مختلفة للجملة، ومن أبرز هذه الوظائف المتعددة التي يؤديها التنغيم على مستوى النظام القاعدي للغة العربية:

1- الوظيفة النحوية: وتعد الوظيفة الأساسية للتنغيم، والملاحظ أن الدارسين قد أولوا هذه الوظيفة أهمية بالغة، فكانت لهم وقفات تتسم بشيء من الإسهاب والشرح والتفصيل مع التمثيل، ساهمت في جعل القارئ يستوعب هذه الوظيفة ويدرك قيمتها، كما استدعت جعلها على رأس الوظائف برمتها، وهناك جملة من الوظائف يقوم بها التنغيم في إطار هذه الوظيفة منها:

أ- التفريق بين أنماط التراكيب: حيث إن «للتنغيم دوره في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة، من تقريرية واستفهامية وتعجبية، فالجمل التقريرية لها نمط خاص من التنغيم في نهايتها، يتمثل هذا النمط في النغمة الهابطة التي تدل على تمام المنطوق واكتماله، في حين أن الجملة الاستفهامية تنتهي بنغمة صاعدة» [2].

ومن الأمثلة التي يقوم فيها التنغيم بوظيفته التمييزية هذه:

«قال الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** ﴾ سورة البقرة الآية 217، حيث إن القسم الأول يحقق بنمط تنغيمي خبري، بينما القسم الثاني (قتال فيه) ينغم على الاستفهام...لأن السائلين لم يسألوا عن كينونة القتال في الشهر لحرام، إنما سألوا: أيجوز القتال في الشهر الحرام؟.

وقال الله تعالى أيضا: ﴿ **قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75)**﴾ من سورة يوسف الآية 74،75جملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) تتلى بقالب تقريري،

[1]- عبد الرحمان أيوب: أصوات اللغة، ص 154، 155.

[2]- كمال بشر: علم الأصوات، ص543.

وتقرأ أيضا على التعجب والاستهجان (قالوا: جزاؤه! من وجد في رحله فهو جزاؤه)، وتقرأ على التبرم والانزعاج، ويظهر ذلك من خلال الحديث والكلام المنطوق»[1].

«وفي جملة مثل: الجو ممطر، تختلف عن جملة: الجو ممطر؟ وتختلف هذه الجمل بدورها عن جملة: الجو ممطرا، نلاحظ أن مكونات الجمل الثلاث واحدة إلا أن النغمة الصوتية عند نطقنا لهذه الجملة جعلها تختلف فيما بينها، وعلامات الترقيم التي وضعناها في نهاية كل جملة تبين الاختلاف فيما بينها».[2]

يمكن أن يكون التركيب الواحد نسيجا من جملتين أو أكثر، تكونان مختلفتين تصنفان ضمن نمطين جُمَلِيَّيْنِ متباينين كما في المثال الأول، بحيث كانت الجملة الأولى خبرية والثانية استفهامية، كما يكون التركيب عبارة عن جملة واحدة، تصنف إلى أنماط مختلفة كما في المثالين الثاني والثالث، الفيصل في التصنيفات تلوين العبارات اللّغوية بتلوينات موسيقية مختلفة، من خفض أو رفع لدرجة الصوت.

ب- التوضيح ما إن كان التركيب مكتمل المعنى والمبنى:

«ويظهر هذا بوضوح في أسلوب الشرط، وهذا أسلوب يخضع في كثير من قضاياه للعنصر التنغيمي، ومعلوم أن هذا الأسلوب تتكون جملته من أركان ثلاثة: الأداة وجملة الشرط، ثم جملة الجواب لكن الأسلوب في تنغيمه قسمان: الأداة والشرط معا ثم الجواب، لأننا حين ننطق جملة (من يذاكر يحقق له الله النجاح)، فإن هذه الجملة نطقيا ركنان، الأول: (من يذاكر) ويتلو هذا الركن سكتة واضحة، ليبدأ الجواب بعدها ذا وضوح نغمي يحدد المراد من الكلام، لأنه تمام الفائدة في أسلوب الشرط».[3]

- ومن الأمثلة أيضا: «بينما أنا سائر في الطريق، قابلت صديقي- كلما سعيت في طريق الخير، زادك الله فضلا، ففي هاذين المثالين ونحوهما ينطق الشطر الأول بنغمة صاعدة، دليلا على أن المعنى لم يتم، فتمامه بالشطر الثاني الذي ينتهي بنغمة هابطة، وهي دليل على تمام الكلام في معناه ومبناه»[4].

يتضح من خلال هذه الأمثلة أن التنغيم بمثابة وسيلة ربط بين الطرفين الأساسيين في أسلوب الشرط، بحيث أن الشرط يكون ملازما لجوابه، فما إن يذكر ينتظر السامع جوابا عنه، والذي يثبت هذا التلازم نطقيا هو التنغيم الذي يجعل جملة الشرط يصاحبها رفع الصوت مع خفضه في الجواب ليدل على تمام الأسلوب.

---

[1]- أحمد البابيي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص 265، 266.

[2]- نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2000م، ص 126.

[3]- أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص 66.

[4]- كمال بشر: علم الأصوات، ص 543.

ج- دلالة التنغيم على الحذف:

قد يحذف عنصر من عناصر الكلام ويكون التنغيم وحده دليلا على هذا الحذف، وهذا المحذوف قد يكون مفردة أو أداة، أو جزء من عبارة بأكملها، ومن الأمثلة الواردة في هذا الشأن، والتي كان فيها التنغيم بديلا عن كلام محذوف:

- **حذف النعت:** قال الشاعر:

«وربّ أَسِيلَةِ الخَدّيْنِ بِكْرُ مُهَفْهَفَةٍ لَهَا فَرْعُ وَجِيد

في هذا الشاهد نرى أن السياق يثبت بغير شك وجود صفتين محذوفتين لكلمتي (فرع وجيد)، فنحن نحس تفخيما لكلمة "فرع" يوحي بصفة الشعر الأسود الفاحم، ونحس تفخيما لكلمة "جيد" يوحي بطول العنق»[1].

حذف بعض الأدوات من التركيب: «في قوله تعالى: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنْ الْخَاطِئِينَ (29)** ﴾ سورة يوسف الآية 29، حذف حرف النداء واستدل بقيمة تعبيرية أخرى هي التنغيم كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62)**﴾ سورة التوبة الآية 62، ففي هذه الآية حذف حرف الاستفهام وأقيم التنغيم مكانه والأصل هنا ليحلفون»[2]، في هذه الآية الكريمة جذف حرف الاستفهام منهما، وجاء التنغيم مكانه ليضيف معنى، ويفهم القول من خلاله.

* «**في حذف الجملة:** قال الشاعر:

قَالَتْ بنَاتُ العَمِّ يا سَلْمَى وإِنْ كَانَ فَقِيرا مُعْدَما قَالَتْ وَإِنْ

الضغط يقوم مقام كلام طويل أساسه (وإن كان فقيرا معدما فسوف أتزوجه)

وقال آخر: فَطَلقهَا فَلْستَ لهَا بِكُفءٍ وإلاَ يحلُ مَفرُقكَ الحُسامُ

النحاة يقدرون جملة محذوفة هي جملة الشرط، والتقدير: (وإن لم تطلقها يحل مفرقك الحسام) موضحين أن السياق هو الأساس ، وما أفهمه أن السياق المقالي أساسه تنغيم "**إلا**"، والضغط عليها وإيجاد سكتة بعدها يعتبر كافيا للقيام مقام المحذوف، لقد أضحى الضغط على "**إلا**" وتلوينها تنغيميا كافي كفاية أداة الشرط وجملته»[3].

يتضح من خلال المثال أن النحاة قدروا الجملة المحذوفة والتي هي جملة الشرط، وبيّنوا أن السياق هو الأساس الذي تقوم عليه، وإيجاد بديل للجملة المحذوفة وهو "إلا" التي أعطت تلوينا تنغميا للجملة.

---

[1]- أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، ص 65.

[2]- عبد القادر عبد الجليل: الأصوات العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1435هـ/ 2014م، ص 259، 260.

[3]- أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، ص 69، 70.

2- الوظيفة الدلالية:

«ونقصد بها التفريق بين دلالات السلسلة الكلامية الواحدة، حيث أن الأسلوب الواحد يخرج إلى معان عديدة ودلالات مختلفة، ولا شك أن التنغيم هو العامل الوحيد المتحكم في هذا النوع الدلالي»[1].

يمكن التفريق بين دلالات السلسلة الكلامية، من خلال الوظيفة الدلالية، لأن كل أسلوب يقودنا إلى معاني متعددة ودلالات مختلفة، ومن الواضح أن العامل المتحكم هنا هو التنغيم.

ومن الأمثلة التي يستشف فيها دور التنغيم في تحديد دلالات الكلام الواحد ما يوجد في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)** ﴾ سورة يس الآية 52.

فالوقف على (هذا) يقلب معنى الجملة التي بعدها وهي (ما وعد الرحمان وصدق المرسلون) إلى النفي على أن معناها الحقيقي غير ذلك، وهو الإثبات إثبات المشركين واعترافهم بصدق المرسلين، وهنا تظهر وظيفة التنغيم في تحديد الدلالة الصحيحة للآية.

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ (67)**﴾ سورة البقرة الآية 67، إن القراءة للآية بأن تكون النغمة الصاعدة في قول موسى(أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)، لأن تلك النغمة هي التي تؤدي معنى الإنكار لما يقولون، ولو قرئت بغير تلك النغمة لما كان المعنى المراد، فموسى في مقام أن يتعجب من عناد بني إسرائيل، ومن كثرة مساءلتهم فلابد أن تكون النغمة صاعدة ».[2]

3- الوظيفة الانفعالية التعبيرية:

«يقصد بها التعبير عن الأحاسيس والانفعالات التي تختلج داخل نفس المتكلم من قبيل: الخوف، والشجاعة، والحزن، والفرح، والتعجب، والتعظيم، والحسرة، والرضى، والغضب، واليأس، والأمل، والشك، واليقين....والقرآن الكريم باعتباره كتاب وعظ وإقناع... يتضمن هذه المعاني وغيرها، وبذلك فإنه يوظف منحنيات أو نطاقات تنغيمية مختلفة، تؤدي الوظيفة الانفعالية التعبيرية» [3].

الوظيفة التعبيرية عبارة عن ردود أفعال وأحاسيس، يحدثها المتكلم سواء بإرادته أو نتيجة عوامل مختلفة، والقرآن الكريم يحمل الكثير من الألفاظ والمعاني التي تؤدي هذه الوظائف التعبيرية.

---

[1]- أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ص 267.

[2]- سليمان بوراس: الظواهر التطريزية ودورها في المعنى-ظاهرة التنغيم أنموذجا، حوليات الآداب واللغات، ع8، 2017م، ص 16.

[3]- أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ص 255.

4- الوظيفة الأدائية: والمقصود بهذه الوظيفة «تلك الطريقة الصوتية في تأدية الكلام، وهي تميز كلام شخص عن آخر، وكلام العرب ليس على شاكلة واحدة من النغمات، لذا نجد المتكلم العربي يتفنن في تنغيم كلامه صعودا وهبوطا، وهنا نستحضر تعريف "ابن جني" للغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فهو يشير هنا إشارة ذكية إلا أن الأصوات تعبر عن الأغراض وأن اللغة أصوات قبل أن تكون كلمات، فالتنغيم من وسائل التعبير التي يحتاجها معلم اللغة حتى يعبر عن الأغراض، وهو خاصية يتميز بها كل قوم عن غيرهم، بل قد يكون أحيانا خاصية يتميز بها الفرد عن غيره».[1]

الكلام لا يأتي دفعة واحدة أو على نسق محدد من النغمات، وإنما المتكلم هو الذي يظهره من خلال طريقة كلامه والتعبير عما يدور في ذهنه، والانفعالات التي يحدثها، كما يشير "ابن جني" أن الأصوات تعبر عن الأغراض وأن اللغة أصوات قبل أن تكون كلمات، وأن التنغيم من الوسائل التي يحتاجها المتعلم للتعبير عن كل أغراضه.

5- وظيفة الاقتصاد اللغوي: للتنغيم وظيفة تقتصد الكلمات إذ «يساعد التنغيم معلم اللغة في اختصار العبارات، وأداء المعنى بكلمات وجمل أقل، وفي هذا السياق يقول "دي بوجراند": إن التنغيم في بعض الجمل يوازي من حيث الدلالة عبارات بأكملها، فيلجأ المتكلم إلى حذف بعض العناصر، لأن الاكتمال النحوي قد يؤذي إلى فساد التركيب والوضوح» [2] يسهم التنغيم في اختصار العبارات، ويؤذي المعنى بشكل صحيح وكما ورد في قول "دي بوجراند" على أن التنغيم يوازي في بعض الجمل على حسب الدلالة، مما يدفع المتكلم إلى حذف العناصر الغير مهمة دون اختلال المعنى.

المطلب الخامس: علاقات التنغيم

إن ظاهرة التنغيم من الظواهر المميزة لدى الإنسان، فهو الوسيلة التي تستعمل في الكلام أثناء التواصل والتعبير عن الانفعالات والمشاعر، وتطورت هذه الظاهرة مع مرور الوقت، وأصبحت مهارة لديه تسهل عليه التعبير عن كل ما يدور بذهنه، وللتنغيم علاقات مختلفة منها:

1- علاقة التنغيم بالنغمة: «هناك نوعان من اختلاف درجة الصوت voice – pitch يمكن تمييزها:

أ- نوع يسمى بالنغمة أو التون tone، وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الكلمة ولذا تسمى تونات الكلمة word tones.

ب- نوع يسمى بالتنغيم intonation، وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو العبارة مجموعة الكلمات، فهناك لغات تستخدم النغمة استخداما تميزيا، وتسمى من أجل ذلك لغات نغمية أو تونية

[1]- خالد حميدات: وظائف التنغيم ودورها في بناء الكفاية التواصلية لدى معلمي اللغة العربية، ص 409، 410.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

tone language، ومعنى هذا أن اختلاف درجة الصوت في هذه اللغات يساعد على تمييز كلمة من أخرى، وربما كان هذا الاختلاف هو الملمح التمييزي الوحيد لكلمتين تتطابقان من ناحية العلل والسواكن» [1].

إن درجات الصوت تختلف ويتشكل من خلالها نوعان وهما: النغمة التي تظهر درجة الصوت عندها على مستوى الكلمة، أما النوع الثاني الذي هو التنغيم والذي يظهر دوره على مستوى العبارة أو الجملة.

«والتنغيم والنغم (**intonation and melody**) مصطلحان يدلان على المنحى اللحني في سلسلة أحداث الكلام ويطلقان على تغير ارتفاع الصوت في السلسلة الكلامية، وهما تغير يرتبط بتذبذب الوترين الصوتين، فالنغم بوجه عام يقوم من المنظار الفيزيولوجي بنظم النفس الخارج من الرئتين، مما يؤدي إلى ارتفاع تدريجي في علو الصوت، يتبعه انخفاض فيه وهو بهذا مرتبط بتتابع الكلام».[2] يطلق التنغيم والنغم على تغير الصوت في السلسلة الكلامية، لأن هذا التغير، مرتبط بعامل فيزيائي.

2- علاقة التنغيم باللحن:

يمكن التفريق بين مصطلحي التنغيم واللحن، «فأما النغمة فنقصد بها تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية، فتوصف هذه النغمة بأنها صاعدة أو هابطة أو ثابتة، ونقصد باللحن مجموع النغمات التي في المجموعة الكلامية، أي الترتيب الأفقي للنغمات التي يشتمل النموذج أو الميزان عليها مع نظرة خاصة إلى النغمة المنبورة الأخيرة من هذا الترتيب، فالميزان إذا أعم من اللحن والمدى ويشملها جميعا في الفهم».[3]

النغمة هي تنغيم المقطع الواحد في الكلمة الواحدة، وقد تكون صاعدة أو هابطة، أما اللحن فهو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية، وبهذا تكون النغمة جزء من اللحن.

3- علاقة التنغيم بالموسيقى:

«برهنت التجارب الحديثة على أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى، إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعا لاختلاف درجة الصوت

---

[1]- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 226، 227.

[2]- نصيرة شيادي: التنغيم الصوتي عند الفلاسفة المسلمين وأثره في الدلالة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، مج 12، ع 2، 2020م، ص 274.

[3]- إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد: دلالة ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، مجلة كلية التربية، قسم اللغة العربية، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، ع1، ماي 2015، ص 84.

حين النطق به... ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة، ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية».[1]

إن الإنسان عندما ينطق لا يتبع درجة صوتية واحدة، فالأصوات التي يتكون منها المقطع، تختلف درجات الصوت فيها، وكذلك الكلمات يكون اختلاف فيها أيضا، وإن كل معنى يتوقف على درجة الصوت عند النطق بالكلمة.

«ويكتب التنغيم كما تكتب الموسيقا على خطوط أفقية، ولكن عدد الخطوط ليس خمسة كما في الموسيقى، وإنما يختلف باختلاف المديات، فيجعل لكل مدى مسافة بين خطين، والمديات هنا ثلاثة، فيلزم أن تستعمل في كتابتها خطوطا أربعة تحصر بينها مسافات ثلاث، أسفلها لكتابة المدى السلبي، وهي وما فوقها لكتابة المدى النسبي، والثلاثة جميعا لكتابة المدى الإيجابي الذي هو أوسع من المديات الثلاثة».[2]

وعليه فإن التنغيم تربطه علاقة بالموسيقى تتمثل في طرق كتابة كل منهما.

4- علاقة التنغيم بالنبر:

التنغيم ليس مجرد ارتفاع أو انخفاض في درجة الصوت، فبحكم أنه يصنف ضمن الفونيمات فوق التركيبة، تربطه علاقة بباقي الظواهر الصوتية في هذه المجموعة، والتي تساهم في إدراك دوره وأهميته، ومن بين هذه الظواهر "النبر"، وقبل تسليط الضوء على العلاقة التي تربط الظاهرتين الصوتيتين ينبغي التعريف بالنبر أولا.

تعددت تعريفات النبر فقد «جاءت لفظة النبر في المعجمات العربية بمعان تكاد تكون مختلفة الدلالة في الظاهر، ولكن عند تحليلنا لمفهومها وأصولها نجدها متفقة الدلالة، فكل واحدة منها مرتبطة بالأخرى ومن هذه المعاني: وردت بمعنى الهمز **فالنبر بالكلام الهمز**».[3]

أما في اصطلاح المحدثين هو «الضغط على مقطع معين من الكلمة لجعله بارزا، أوضح في السمع عن غيره من مقاطع الكلمة».[4]

وهناك من يعرفه بأنه «إعطاء مقطع من بين مقاطع متتابعة مزيدا من الضغط، وهذا الضغط الزائد يجعل المقطع المنبور يتميز بالوضوح النسبي».[5]

---

[1]-إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد: دلالة ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، ص85.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

[3]-كوليزار كاكل عزيز: القرينة في اللغة العربية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2009م، ص39.

[4]- صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، مصر، دط، دس، ص192.

[5]- حازم علي كمال الدين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ/ 1999م، ص95.

من خلال هذه التعاريف يدرك أن الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة يجعل الصوت مرتفعا، وهذا يقود إلى وجود علاقة بين النبر والتنغيم، بحيث أن «النبر أكثر الملامح أو الظواهر التي تتداخل مع التنغيم في علاقة متشابكة ومعقدة، فالتنغيم عامل من عوامل حدوث النبر، وهنا يشير "تمام حسان" إلى أن التنغيم لابد له من نبر، ينتقل عنده من طبقة صوتية إلى أخرى ذات مستوى مختلف، وهذا النبر ينتج عن الضغط، وبهذا يكون النبر نتيجة من نتائج حدوث التنغيم»[1].

ويرى "أحمد كشك" أن «الرابط بين الظاهرتين قوي، لأن النبر إن كان ضغطا على مقطع من المقاطع، فإن حصيلة الأنبار تشكل المجموع الصوتي للجملة، أي تشكل التنغيم، ومن هنا يحق لنا أن نطلق مصطلح التنغيم تجوزا على النبر»[2].

ومن كل هذا يستخلص أن النبر ضرورة من ضرورات تشكل التنغيم.

«ومن أوثق الصلة بين النبر والتنغيم، أن هبوط النغمة أو صعودها أو تحولها في وسط الكلام أو في آخره لا يكون إلا متفقا مع موقع النبر، فلا تتحول النغمة هذا التحول إلا على مقطع منبور، ومن أمثلة ما جاء في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [سورة القصص، الآية 88]، فعندما قمنا بتمثيل النغمات لهذا المثال وجدنا أن النغمة الثالثة نغمة هابطة، وجاء هبوطها على المقطع المنبور، وعليه تحولت النغمة من المستوى الثابت إلى المستوى الهابط، وبهذا يتأكد لنا أن النغمة الهابطة والصاعدة لابد أن ترافق النبر في المقطع، والثابتة قد تكون في مقطع منبور أو غير منبور».[3]

يستنتج أن المقطع الواحد يكون منبورا ومنغما في الوقت نفسه، فعند تقطيع العبارة تقطيعا صوتيا وتحديد النبر ونوع النغمات يدرك أن موضع النبر هو ذاته موضع النغمة.

وبالرغم من وجود هذا التداخل بين النبر والتنغيم، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود نقاط خلاف بينهما، وهذا ما أقره "كمال بشر" حين قال: «وليس التنغيم هو النبر كما يظن بعضهم، فالنبر stress: وضوح نسبي في نطق مقطع من المقاطع، وهو بهذا عامل مهم من عوامل التنغيم».[4]

كما أن "أحمد كشك" فرّق بين الظاهرتين من ناحية مختلفة حيث قال: «من خلال تعريفات النبر والتنغيم يدرك أن النبر ضغط على الكلمة مفردة في سياقها، وأن التنغيم تشكيل صوتي للجملة أو العبارة كلها»[5].

---

[1]- عصام تمام عبد الحميد علي: عناصر تشكيل التنغيم في اللغة العربية، مجلة الدراسات العربية، ص3756.

[2]- أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، ص54.

[3]- عصام تمام عبد الحميد علي: عناصر تشكيل التنغيم في اللغة العربية، ص3757، 3758.

[4]-كمال بشر: علم الأصوات، ص533.

[5]- أحمد كشك : من وظائف الصوت اللغوي، ص54.

علاقة النبر بالتنغيم وثيقة فيستخلص أن النبر هو الضغط على الكلمة المفردة، أما التنغيم فهو التنويع في أداء الكلام بحسب الجملة التي يرد فيها.

5- علاقة التنغيم بالفواصل الصوتية :

يتخذ المتكلم طرقا مختلفة من أجل إيصال المعلومات بشكل صحيح لدى السامع، وتعد الفاصلة الصوتية من بين تلك الطرق التي يستعملها المتكلم.

«الفاصلة التي نعنيها هنا ليست الفاصلة القرآنية المعروفة، أي نهاية الآية وإنما هي الفاصلة الصوتية المتأتية من الوقف الذي يحسن السكوت به ويحسن الابتداء بما بعده، علما أن "السيوطي" ينقل عن "الداني" أن الفاصلة في القرآن أيضا تختلف، فربما كانت الفاصلة رأس آية أو لا تكون، فالفاصلة عنده هي الكلام المنفصل عما بعده، أو هي كلمة آخر الجملة وهذا يعني أنها ليست بالضرورة متشاكلة في الأحرف، فالفاصلة الصوتية هي: فاصلة بانعدام الصوت مدة يسيرة من الزمن لفصل نهاية العبارة الأولى عن بداية الثانية لغايات تتعدد، وأن هده الفاصلة لا يمكن تمييزها إلا عند القراءة».[1] عند النطق بكلام ما يعمد المتكلم إلى فواصل في كلامه.

«الأساس الذي تقوم عليه الدراسة هو أثر هذه الفاصلة على مجمل المعنى في الجملة كاملة، وكذلك أثرها في تحديد موضع الجملة اللاحقة أو الكلمة المجاورة لها، فلا نجد فرقا كبيرا في ذلك بين الوقف والسكت، فالفرق بينهما صوتي أكثر منه دلالي، وإن الغاية الرئيسية لهذه الفاصلة هي ما اقتضاه المعنى فهي تفيد معنى وظيفيا معينا، صوتيا أو صرفيا أو نحويا أو دلاليا»[2].

للفاصلة دور كبير في تحديد المعنى، كمالها أثر في تحديد موضع الجملة، وهذا لا يصنع فارقا بين الوقف والسكت لأن الفرق صوتي، وإن الغاية من الفاصلة هي تفيد في تحديد معنى وظيفي، ومن مظاهره هذه الفواصل:

أ- الوقفة: ولا تتحقق إلا عند تمام الكلام في مبناه ومعناه، « ونعني بذلك أن تكون بنية المنطوق مؤلفة وفق لقواعد اللغة ومنسوقة وحداتها في نظم خاص يطابق المعنى المقصود، والغرض المطلوب بحسب الظروف والحال، والقاعدة أن تأتي الوقفة مصاحبة بنغمة هابطة، دليلا على تمام الكلام، ورمزها في الكتابة النقطة [•]، وهذه هي الحال في الجمل والتراكيب التقريرية، وأحيانا تأتي الجملة الاستفهامية منتهية بوقفة وما يشبه ذلك، ولكنها وقفة من نوع خاص، إنها مجرد فاصلة صوتية».[3]

---

[1]- صباح علاوي خلف: الفاصلة الصوتية وأثرها في الجملة العربية، مجلة كلية التربية سامراء ، قسم اللغة العربية .مج4، ع9، 2008م، ص62،63.

[2]- كمال بشر: علم الأصوات، ص554، 555.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

عندما يلقي المتكلم كلاما ثم يتوقف يفهم السامع أن ما يريد إيصاله لم يتم ، والكلام يكون مصاحبا لانخفاض في الصوت، وعليه من خلال تعريف الوقف وما يصاحبه من نغمة هابطة، يستخلص أن هناك علاقة بين الوقف والتنغيم، فالوقف يحتاج إلى تلوين الكلام تلوينا خاصا يتماشى والقصد الذي يريد المتكلم تبليغه، والتنغيم الملائم للوقف هو الهابط للدلالة على تمام الكلام.

ب– السكتة: لا شك أن ثمة تقاربا بين السكت والوقف، « من جهة أن كليهما فيه فصل في الكلام، وأن المتقدمين غالبا ما أرادوا بالوقف والسكت وكذلك القطع شيئا واحدا، وأما السكت فهو قطع الصوت زمنا قصيرا دون زمن الوقف، ومما اختلف فيه علماء الصوت هو الرمز لهذه الصوتية، فهناك ما يسمى بالفاصل الصاعد ويرمز له ↗ وهناك ما يسمى بالفاصل↘، وهناك ما يسمى بالفاصل المؤقت ويرمز له ⟵» [1]، قد يتلفظ الشخص بكلام ثم يسكت لبرهة ليجعل السامع يدرك أن هناك فصل بين ما نطق به وكلام آخر سكت عنه يكون تتمة لما سبق، وما يساهم في إدراك المتلقي لوجود كلام مفقود هو تلك السكتة التي أكسبت المنطوق تنغيما يتماشى والكلام الذي لم تحصل له فائدة.

وبناء على كل ما تقدم من تعريف للفاصلة الصوتية، وذكر لمظهريها الوقفة والسكتة، يمكن إدراك وجود علاقة تربط الفاصلة الصوتية بالتنغيم، وهو ما أقره "كمال بشر" حين قال: « الفواصل الصوتية مصطلح نطلقه نحن على مجموعة من الظواهر الصوتية التي تشكل ظواهر أخرى –كالنبر والتنغيم –، تلوينا موسيقيا خاصا بالمنطوق يحدد طبيعة التركيب وماهيته ودلالته، هذه الفواصل هي الوقفة Stop والسكتة Pause والاستراحة، وفي التحليل النحوي والدلالي للتراكيب»[2].

يطلق مصطلح الفواصل الصوتية على مجموعة من الظواهر الصوتية كالنبر والتنغيم، لأن لها تلوينا موسيقيا خاصا، تتحدد من خلاله طبيعة التركيب، وهذه الفواصل تتمثل في الوقفة والسكتة.

ومما تقدم يستنتج أن التنغيم ظاهرة صوتية مهمة، فهو أحد أهم العناصر في البنية اللغوية، حيث يميز بين أنواع الجمل المختلفة ويصنفها إلى أنماطها، وقد يقوم مقام عناصر محذوفة في التراكيب، إضافة إلى أنه يساهم في إدراك المقاصد وتوضيح المعاني، كما تربطه علاقات بظواهر صوتية أخرى كالنبر والفواصل الصوتية مثلا، التي تعزز الدور الذي يؤديه في أداء وظائفه المختلفة.

---

[1]– صباح علاوي خلف: الفاصلة الصوتية وأثرها في الجملة العربية، ص 67، 68.

[2] –كمال بشر: علم الأصوات، ص 553.

الفصل الثاني: دراسة صوتية وظيفية لظاهرة التنغيم في سورة "آل عمران"

تمهيد:

تلوّن الكلام بالموسيقى لا يقتصر على الشّعر فقط، بل حتى الكلام المنثور له موسيقى، وأصدق نص يؤكد هذا هو النص القرآني، بحيث «أن إعجاز القرآن الكريم يظهر في نظمه الموسيقي الرائع، الذي يسيطر على مستمعيه ولو كانوا غير مسلمين، حتى قيل فيه: قوانين الموسيقى قد لحظت في القرآن الكريم تامة كاملة، ودليل آخر على ما في القرآن الكريم من تنغيم معجز، ذلك الأثر الذي أوقعه في النفوس القاسية من أهل الزيغ والإلحاد، وبذلك يمكن القول بأن للتنغيم في القرآن الكريم دورا كبيرا في تكييف عقل السامع، وتهيئته لتلقي الدعوة واستقبال ما جاء به من معان سامية، لذا فالتنغيم من الظواهر التي جذبت العرب للإسلام»[1]، ويظهر من خلال هذا الحديث ومما أثر من صنيع القراء أصالة ظاهرة التنغيم في القرآن الكريم ككل، وتخصص الدراسة لتتبع هذه الظاهرة من خلال آيات من سورة "آل عمران"، والغاية معرفة أنماط التنغيم المختلفة، والوقوف على أثره الواضح في توجيه المعنى اللّغوي للآيات القرآنية.

المبحث الأول: لمحة عن "سورة آل عمران"

المطلب الأول: التعريف بالسورة

سورة آل عمران من السبع الطوال في القرآن الكريم، قيل: «وفي القرآن العزيز السبع الطّول: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس... والطُّوَلُ جمع طُولَى، والطُّولَى تأنيث الأَطْول...وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطاني ربي مكان التوراة السبع الطُّول، ومكان الإنجيل المثاني»».[2]

وهي تعد «مدنية باتفاق ولم يرد استثناء شيء منها أصل»[3]، لكن الخلاف القائم حول السورة كان في مرتبتها وموقعها، كما كان في عدد آياتها، أما مرتبتها إن كانت الثانية أم الثالثة، حيث ورد في **"تفسير التحرير والتنوير"**: «إنها ثانية لسورة البقرة، على أن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة، وقيل: نزلت بالمدينة سورة المطففين أولا ثم البقرة ثم نزلت سورة آل عمران، وقد عدت هذه السورة الثامنة والأربعون في عداد نزول سور القرآن»[4]، «وعدت السابعة

---

[1]- فايزة حلمي مصطفى طه: دلالة التنغيم في الزهراوين (البقرة وآل عمران)، ص 388،389.

[2]- علم الدين السخاوي علي بن محمد: جمال القراء وكمال الإقراء، ج1، تح: علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط1، 1408هـ/1987م، ص 34،35.

[3]- محمد بن عبد العزيز بن عمر نصيف: بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف، جمعية تحفيظ القرآن بجدّة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1440هـ/2019م، ص 26.

[4]- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج3، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م، ص 143،144.

والثمانين بعد البقرة وقبل الأنفال، وهي مرتبطة بحدثين في السيرة قدوم وفد نجران سنة تسع أو عشر من الهجرة، وذلك قبل عام الوفود، وغزوة أُحد التي كانت في شوال من السنة الثالثة للهجرة مما يؤيد أنها مبكرة النزول نسبيا»[1]، أما عدد آياتها فذهب **"الخازن"** إلى أنها «مائتا آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة، وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا" [2]، "وعددها عند أهل الشام مائة وتسعة وتسعون».[3]

المطلب الثاني: سبب تسميتها

لكل سورة في القرآن الكريم اسم خاص بها، ولبعض السور أكثر من اسم، ومثلها "سورة آل عمران"، حيث ذكر **"أبو حيان"** في تفسيره أن لها ثمانية أسماء، حين قال: «هذه السورة سورة آل عمران وتسمى الزهراء والأمان والكنز والمعينة والمجادلة وسورة الاستغفار وطيبة»[4]، وقد جعلت هذه الأسماء في كتاب **"أسماء سور القرآن وفضائلها"**:

- **أسماء توقيفية:** ثبتت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.
- **أسماء اجتهادية:** وردت في كتب المفسرين.

أما التوقيفية فاثنان آل عمران–الزهراء

1– آل عمران: «اشتهرت تسمية هذه السورة ب (سورة آل عمران) وبذلك عنونت في المصاحف وفي كتب التفسير والحديث، وقد ثبتت تسميتها بهذا الاسم في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كلام الصحابة، ووجه تسميتها أنها ذكرت فيها أسرة آل عمران وفضائلها، وقد جاء ذكر (عمران) في هذه السورة مرتين في آيتين، في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾**[آل عمران الآية: 33]** وقوله أيضا: ﴿**إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾**[آل عمران الآية: 35]**[5].

---

[1]– محمد بن عبد العزيز بن عمر نصيف: بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف، ص27.

[2]– علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/2004م، ص 223.

[3]– محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ، ج3، ص 144.

[4]– محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج2، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ص 389.

[5]– منيرة محمد ناصر الدوسري: أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، ص167،168.

وقد اختلف في المراد من عمران المذكور في السورة ككل وخاصة هاتين الآيتين، فقيل «والمراد بآل عمران عيسى عليه الصلاة والسلام، وأمه مريم بنت عمران، وقيل: المراد بهم موسى وهارون عليهما السلام، والظاهر هو القول الأول لأن السورة تسمى آل عمران، ولم تُشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة، وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف، فدل ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم، وأيضا يرجح كون المراد به أبا مريم، لأن الله تعالى ذكر اصطفاءها ونص عليه».[1]

2- الزّهراء: وتشترك "آل عمران" في هذه التسمية مع سورة "البقرة" السابقة عنها «وللعلماء في تسمية البقرة وآل عمران بالزهراوين ثلاثة أقوال.

الأول: أنهما النيرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة، فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي: من معانيهما

وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة وهو **القول الثاني**.

الثالث: سميتا بذلك، لأنهما اشتركتا في تضمن اسم الله الأعظم».[2]

وبالإضافة إلى الأقوال الثلاثة السابقة في هذه التسمية، قيل: «وتسمى الزّهراء لأنها كشفت عما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام»[3]، فسورة آل عمران سورة عظيمة، لعظمة المعاني التي تضمنتها والعبر التي تستنبط منها، يؤجر قارئها أيما أجر فهي تهدي وتنير طريقه في الدنيا وفي الآخرة.

وأما الاجتهادية فهي الستة المتبقية: طيبة-الكنز-الأمان-المجادلة-الاستغفار والمعينة.

3- طيبة: « وردت تسمية هذه السورة (سورة طيبة) في كتب المفسرين، واستدلوا بما أخرجه "سعيد بن منصور" في سننه عن "أبي عطاف" قال: «اسم آل عمران في التوراة طيبة، ووجه تسميتها بهذا لجمعها من أصناف الطيبين في قوله تعالى: ﴿**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾[آل عمران الآية 17] ».[4]

4- الكنز: «لتضمنها الأسرار العيسوية.

---

[1]- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دس، ص 131.

[2]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضّمنه من السّنة وآي الفرقان، ج5، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/2006م، ص 8.

[3]- محمد جمال الدين القاسمي: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م، ص 253.

[4]- منيرة محمد ناصر الدوسري: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص 170.

5- الأمان: لأن من تمسك بما فيها أَمِن من الغلط في شأنه».[1]

6- «المجادلة: لنزول نيف وثمانين آية منها في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران.

7- الاستغفار: لما فيها من قوله تعالى: "والمستغفرين بالأسحار».[2]

8- المعينة: ذكرت ولم يرد في تسميتها أي تفسير.

المطلب الثالث: سبب نزولها

كل سورة من سور القرآن الكريم ارتبط نزولها بحادثة معينة، وإدراك السبب يعين على فهم المعاني، فسورة آل عمران اتفق المفسرون على أنها « نزلت في وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا، فيهم أربعة عشر من أشرافهم ثلاثة منهم اكابرهم "عبد المسيح" أميرهم، و"الأيهم" مشيرهم، و"أبو حارثة بن علقمة" حبرهم، فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم منهم أولئك الثلاثة معه، فقالوا تارة عيسى هو الله لأنه كان يحيي الموتى، وتارة هو ابن الله إذ لم يكن له أب، وتارة إنه ثالث ثلاثة لقوله تعالى: "فعلنا وقلنا" ولو كان واحدا لقال: فعلت وقلت، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت أن عيسى يموت!!، قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه!!، قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن ربنا قائم على كل شيء يحفظه ويرزقه، فهل يملك عيسى شيئا من ذلك؟، قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك إلا ما علم؟، قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وأن عيسى كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث!!، قالوا: بلى، فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون كما زعمتم؟ فسكتوا وأبوا إلا الجحود فأنزل الله من أول السورة إلى نيف وثمانين آية».[3]

وإن تعددت الروايات حول سبب نزول السورة، فالأهم أنها تتمحور حول وفد "نجران" من النصارى ووفودهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومجادلتهم إياه حول ما جاء في القرآن الكريم بشأن عيسى وأمه عليهما السلام.

---

[1]- علي بن أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل المهايمي: تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمان وتيسير المنان، ج1، مطبعة بولاق، القاهرة، مصر، دط، دس، ص 101.

[2]- محمد جمال الدين القاسمي: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ص 253.

[3]- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج1، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1402هـ/1981م، ص 183.

المطلب الرابع: مضمونها

اشتملت سورة آل عمران على موضوعات عدة، حيث« تضمنت هذه السورة الكلام على جانبي العقيدة والتشريع:

أما العقيدة: فقد أثبتت الآيات وحدانية الله والنبوة، وصدق القرآن، وإبطال شبهات أهل الكتاب حول القرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإعلان أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، ومناقشة النصارى في شأن المسيح وألوهيته، والتكذيب برسالة الإسلام، واستغرقت المناقشة قرابة نصف السورة، كما استغرقت سورة البقرة ما يزيد عن ثلثها في مناقشة اليهود وتعداد جرائمهم، بالإضافة إلى ما تضمنته هذه السورة من تفريعات والتحذير من مكائد اهل الكتاب.

وأما التشريع: فقد أبانت الآيات بعض أحكام الشرع مثل: فريضة الحج والجهاد وتحريم الربا وجزاء مانع الزكاة، وبعض الدروس والعبر من غزوتي "بدر" و"أُحُد"، والتنديد بمواقف أهل النفاق.

ثم ختمت السورة بما يناسب الجانبين، فطالبت بالتفكير والتدبر في خلق السماوات والأرض وما فيهما من عجائب وأسرار، وأوصت بالصبر على الجهاد والمرابطة في سبيل الله، ليحظى الإنسان برتبة الفلاح، لقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران، الآية 200]» [1].

بما أن السبب الرئيسي الذي نزلت لأجله سورة "آل عمران" هو إثبات ألوهية الله عز وجل، وإثبات وحدانيته للرد على الكفار أعداء الإسلام، وإبطال مزاعمهم التي لا أساس لها من الصحة، وردت آيات في العقيدة، كما تضمنت آيات أخرى الحديث عن جملة من الأحكام الشرعية، ليفرق المؤمن بين ما يحل له، وما يحرم عليه لتكون عقيدته سليمة، ويتبع الطريق المستقيم الذي يدخله الجنة.

المطلب الخامس: فضلها

وردت في فضل سورة "آل عمران" أحاديث كثيرة، ونظرا لوجود تناسب بينها وبين بعض السور في القرآن، ذكرت لها فضائل مرتبطة بسورة البقرة.

ورد في "**صحيح مسلم**" وبالتحديد في باب "**فضل قراءة القرآن وسورة البقرة**":

[1]- وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج2، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط10، 1430هـ/2009م، ص 153.

- «...**حدثني أبو أمامة الباهلي. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اقْرَؤوا القُرْآن، فَإنَه يَأْتِي يَومَ القِيَامَةِ شَفيعًا لأَصْحَابِه اقْرَؤوا الزَهْرَاوَيْن: البَقَرة وسورة آلْ عِمْرَان، فَإنَهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْم القِيَامَة، كَأَنهُمَا غَمَامَتَان، أو كَأَنَّهُمَا غَيَايتَانِ، أو كَأَنهُما فَرقَان من طِيرٍ صَوافٍ، تُحَاجَانِ عن أصْحَابِهِمَا، اقْرَؤُوا سورة البَقَرة، فَإنَّ أَخَذَهَا برَكَة، وتَرْكُهَا حَسْرَة، ولاَ تَسْتَطِيعهَا البَطَلَة**"

-...عن النواس بن سمعان الكلابي يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول "**يُؤْتَى بِالقُرآنِ يَوْمَ القِيَامَة وأَهْلِه الذِينَ كَانُوا يَعْمَلُوَن بِهِ. تَتَقَدمُه سورة البَقرَة وآلْ عِمْرَان، وضَرَبَ لهُمَا رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثَلاثَة أَمْثَال. قالَ كَأَنَّهمَا غَمَامَتَان، أوْ ظِلتَانِ سَوْدَاوَان. بَيْنهُمَا شَرْقٌ. أو كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِن طَيرٍ صَوافٍ، تحَاجَانِ عن صَاحِبهِمَا**"».[1]

كما وردت أحاديث في فضل سورة آل عمران لوحدها:

- «حدثنا أبو نعيم، عن أبي إسحاق، عن سليم بن حنظلة البكري قال: قال عبد الله بن مسعود: من قرأ آل عمران هو غني، والنساء محبرة.

- حدثنا إسحاق بن عيسى، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عثمان بن عفان قال: من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة.

- حدثنا محمد بن المبارك ثنا صدقة بن خالدن عن يحي بن الحارث، عن مكحول قال: من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل.

- حدثنا القاسم بن سلام أبو عبيد قال: حدثني عبيد الله الأشجعي قال: حدثني مسعر قال: حدثني جابر عن الشعبي قال عبد الله: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل».[2]

- كما ورد أيضا في كتاب "**الجامع لأحكام القرآن**": «حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا عبد السلام، عن الجريري عن أبي السليل قال: أصاب رجل دما، قال: فأوى إلى وادي مجنة- واد لا يمسي فيه أحد إلا أصابته حية، وعلى

---

[1]- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص 367،368.

[2]- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الفضل الدارمي: المسند الجامع، تح: نبيل بن هاشم الغمري، شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1434هـ/2013م، ص 772،773.

شفير الوادي راهبان، فلما أمسى قال أحدهما لصاحبه: هلك والله الرجل!، قال: فافتتح سورة آل عمران، قالا: قرأ سورة طيبة، لعله سينجو، قال: فأصبح سليما».[1]

فسورة "آل عمران" عظيمة لنورها وهدايتها، أجر قراءتها عظيم في الدنيا والآخرة، وهذه المكانة التي تحظى بها بارزة في كون الملائكة تصلي على قارئها، ويكتب له عند الله قيام ليلة حتى ولو لم يقمها، كما أنها أمان من سم ولدغ الحية فهي شافية، وهي تظلل صاحبها يوم القيامة وتدافع عنه وتكون شفيعة له.

المطلب السادس: أوجه التناسب في سورة "آل عمران"

من أوجه إعجاز القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه التي تضمنتها آياته وسوره، الارتباط والتلاحم بين آيات السورة الواحدة لتشكل هيكلا متكاملا لا يمكن التصرف فيه تقديما أو تأخيرا، ولا يقتصر الأمر على هذا فقط، بل يتعداه إلى ما هو أدهى من ذلك، فبالرغم من نزول السور القرآنية متفرقة ومتباعدة زمانيا ومكانيا، إلا أنه ومن بلاغة كلام الله وإحكام نظمه هناك ارتباط بين السورة بأكملها والسور الأخرى السابقة عنها أو اللاحقة عليها بوجه أو بآخر.

والعلم الجليل الذي تكفل برصد هذا الوجه من الإعجاز القرآني **"علم التناسب أو المناسبة"** وهو «من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم وتذوق لنظمه وبيانه المعجز، وهو علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء».[2]

وسورة آل عمران يمكن حصر أوجه التناسب فيها في أنواع ثلاث، منها ما تعلق بالسورة في حد ذاتها، ومنها ما تعلق بمناسبتها للسور الأخرى.

النوع الأول: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها:

من خلال تتبع ما ورد "في الآية الأولى من السورة، والآية الاخيرة يلاحظ بأن هناك علاقة بينهما حيث:

- تبتدئ السورة بقوله تعالى:« ﴿ **الم (1) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ**

[1]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 7.

[2]- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1421هـ/2000م، ص 58.

اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)﴾[أل عمران، الآيات 1-4] ، فالحديث عن الحي القيوم منزل الكتب والرسالات، ذو العذاب الشديد المنتقم لمن كفر بها وأعرض عنها.

- وتختم السورة بقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)** ﴾ [أل عمران، الآيات100-200] ، فالحديث عن طائفة من أهل الكتاب الذين آمنوا بالله وما أنزل إليهم وما أنزل على رسول الله، والحديث عن الرسالات وموقف الناس منها، ثم الأمر بالصبر والمصابرة والمرابطة، وفيه تهديد ووعيد لأولئك ووعد بالفلاح للمؤمنين».[1]

من خلال وجه التناسب بين بداية السورة وآخرها، يدرك إعجاز القرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه، فبالرغم من تعدد الموضوعات التي تناولتها السورة بأكملها، هذا لم يمنع أن تكون الخاتمة تتمة للبداية ومكملة لها، ومفسرة وشارحة لما ورد فيها.

النوع الثاني: المناسبة بين سورة آل عمران وسورة البقرة

هناك ارتباط بين مضمون سورة "آل عمران" وسورة البقرة، وهذا ما أقره "السيوطي" بتحديده أوجه التناسب بينهما في أمرين:

« أحدها: مراعاة القاعدة التي قررتها من شرح كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها، والوجه الثاني أن بين السورتين اتحادا وتلاحما وهذا في مواضع منها: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ** ﴾ [آل عمران، الآية 3] وذلك بسط واطناب، لنفي الريب عنه ومنها أنه قال في البقرة ﴿**وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** ﴾[البقرة، الآية 4]، وقال هنا ﴿**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ** ﴾[آل عمران، الآية 3]، مفصلا وصرح بذكر الإنجيل هنا، لأن السورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح به في سورة البقرة، وإنما صرح فيها بذكر التوراة ومنها أن ذِكْر القتال وقع في سورة البقرة مجملا بقوله:﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[البقرة، الآية 190]، وفصلت هنا قصة أُحُد بكاملها.

[1]-مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص 76،77.

– ومنها: أنه قال في البقرة في أهل الكتاب:﴿ **ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[البقرة، الآية 83]، فأجمل القليل، وفصله هنا بقوله: ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ** ﴾[آل عمران، الآية 113].

– ومنها أنه قال في البقرة﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة، الآية 188]، وبسط الوعيد هنا بقوله:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ** ﴾[آل عمران، الآية 77]».[1]سورة في هذه المواضع وغيرها، كانت آيات سورة آل عمران مفصلة وشارحة لمجمل ما في سورة البقرة من آيات.

النوع الثالث: المناسبة بين آل عمران وسورة النساء

أما عن وجوه التعالق بين سورة آل عمران وسورة النساء فتتجلى في نقاط عدة من بينها:

– « أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة به

– ومنها أن سورة آل عمران ذكر فيها قصة أُحُد مستوفاة، وذكر في هذه السورة ذيلها، وهو قوله:﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ**﴾[النساء، الآية 88]، فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين من غزوة أُحُد.

– ومنها أنه ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب، وأقيمت له الحجة بآدم.

– ومنها أنه ذكر في آل عمران:﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾[آل عمران، الأية55]، رد هنا على من زعم قتله بقوله: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (158)** ﴾[النساء، الآيات 157-158]».[2]

ارتباط سورة "آل عمران" وسورة "النساء" جليا في أن ما تضمنته خاتمة "آل عمران" افتتحت به سورة "النساء"، وهذا إن دل على أمر فإنه يدل على إعجاز كلام الله، بالإضافة إلى أهمية وجوب تقوى الله، الموضوع التي تناولته الآية، كما

[1]– جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/1986م، ص 70-72.

[2]–المرجع نفسه، ص 76-78.

أن هناك وجه آخر للارتباط يتضح من خلال كون إحدى السورتين تكون آياتها موجزة لما ورد في السورة الأخرى، وأيضا سرد قصص متشابهة وقعت للأنبياء.

المبحث الثاني: مظاهر التنغيم في سورة "آل عمران"

سورة آل عمران من السور التي يظهر فيها الشكل النغمي من أنواع مختلفة النغمات، وذلك مرتبط بنوع الأساليب التي تضمنتها الآيات والأغراض والمقاصد التي سيقت لأجلها، إذا كانت خبرية تقريرية تقرر حقائق معلومة، لا تثير نوعا من الانفعال بل تستدعي نمطا تنغيميا خاصا، يختلف عن الأسلوب الإنشائي الذي قد يتضمن طلبا للالتزام بأمر، أو الانتهاء عنه على سبيل المثال، وبهذا يثير نوعا من رود الفعل، وكل من الأسلوبين يتحكم في تحديد معانيهما، وتوجيه أغراضهما طريقة أداء الآية الكريمة، وتلوينها الموسيقي المناسب، وبناء على هذا يُمثّل لأنواع النغمات بآيات من السورة الكريمة لإبراز الدور الذي يلعبه التنغيم.

المطلب الأول: النغمة الصاعدة:

وترد في صور متعددة من الأساليب اللغوية منها:

1) النداء: يظهر في مواضيع متفرقة من السورة منها:

قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾[سورة آل عمران الآية:100] وردت الآية الكريمة بصيغة النداء ليس القصد منه جلب انتباه المؤمنين فحسب، بل خرج الأسلوب هنا عن معناه الحقيقي الذي وضع له بالأساس، إلى غرض آخر يُسْتَشَفُّ من السّياق العام للآية، فقد جاء في التفسير: «بعد أن وبّخ سبحانه أهل الكتاب على كفرهم وصَدّهم عن سبيل الله، وأقام الحجج عليهم وأزال شبهاتهم، خاطب المؤمنين محذّرا لهم من إغوائهم وإضلالهم»[1].

من خلال ما سبق في تفسير الآية، يُدرك أن نداء رب العزة إلى عباده المؤمنين هنا القصد منه تحذيرهم من الوقوع في شباك اليهود، فيخرجوهم عن ملّتهم، وهذا جلي في قوله المولى عزو جل:(إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)، وبالإضافة إلى السّياق العام للآية، هناك قرينة تساعد على إدراك المعنى، تتماشى وغرض التحذير، بحيث يتبين من خلال طريقة أداء الآية بأنها تكسوها تلوينات موسيقية، تجعل الكلام لا يسير على نسق صوتي واحد، بل يرتفع الصوت عند نطق المقاطع الأولى (يا أيها الذين آمنوا) لأن النداء يتطلب قوّة

[1]- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج4، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحبلي وأولاده، القاهرة، مصر، ط1، 1365هـ/1946م، ص 15.

في النطق لاستمالة المؤمنين لرسالة الخالق، ويبقى الإطار النغمي مرتفعا فيما يلي جملة النداء، لأن الأسلوب أسلوب شرط، شقه الأول في قوله تعالى: (إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) كلام مُعَلّق، أي لم يتم ويتوقف تمامه على جوابه، فالمؤمنون ينتظرون نتيجة اتِّباعهم اليهود، ثم يستوي الإيقاع الصوتي ليتدرج نحو الانخفاض شيئا فشيئا حتى ينتهي بنغمة هابطة، دليلا على تمام الكلام، وعليه فإن أسلوب الآية في مجمله انطلق بوتيرة صوتية مرتفعة، فكان التنغيم صاعدا (↑)، وقد استمرّ بهذه الوتيرة، ثم عادت درجة الصوت للإستواء (→)، ميّالة للانخفاض فيما يلي من المقاطع، لتنتهي بنغمة هابطة (↓) إشارة إلى تمام المعنى.

قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (130)﴾ [سورة آل عمران الآية:130]، من المعاملات التي لا يرضى الله على عباده المؤمنين التعامل بها، السعي إلى تحقيق الربح و الفائدة، دون الاهتمام بالوسيلة التي يتّخذونها لتحصيل ذلك، وهذا ما نص عليه مضمون الآية في الحديث عن ظاهرة الرّبا، حيث قال " الإمام الرازي": «إعلم أن من الناس من قال: إن الله تعالى لما شرح عظيم نعمه على المؤمنين، فيما يتعلق بإرشادهم إلى الأصلح لهم في أمر الدّين، وفي أمر الجهاد اتبع ذلك بما يدخل في الأمر والنهي والترهيب، وقد ابتدأ سبحانه بالنداء لبيان أن أكل الرّبا ليس من شأن المؤمنين، وإنما هو من سمات الكافرين والفاسقين، وخصّه بالنهي لأنه كان شائعا في ذلك الوقت»[1].

من خلال التفسير يستنتج أن أسلوب النداء في هذه الآية جاء لغرض النهي، وهذا الغرض يحتاج القارئ في أداءه، وإيصال المعنى بوضوح إلى طريقة إلقاء معينة، تتباين فيها درجات الصوت، بحيث تُؤدّى هذه الآية **بنغمة صاعدة** تتصدر بداية الآية، المتمثلة في نداء رب العزّة للمؤمنين، في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) ويستمرّ المنحنى الإيقاعي المرتفع في الموضعين التّاليين، الأول في قوله تعالى:(لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)، لما فيه من نهي وردع عن الربا، والثاني قوله: (اتقوا الله) لأن هذا الجزء أمر حقيقي من الله تعالى لعباده بوجوب التقوى، وسرعان ما تشهد وتيرة الصوت **استواء** في الطبقة الصّوتية، تميل تدريجيّا نحو الانخفاض، لتدل على تمام الكلام حتى نهاية الآية في قوله(لعلكم تفلحون).

[1] – محمد بن ضياء الدين عمر فخر الدين الزاري: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج9، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ب، ط1، 1981، ص 2.

ومن مصاحبة النغمة الهابطة لنهاية الآية، يُدرك أن هناك علاقة بين التّنغيم والوقف باعتباره مظهرا من مظاهر الفواصل الصّوتية، فكما للتنغيم وظيفته النحوية التي يدل على تمام الكلام في المعنى والمبنى، كذلك الوقف في نهاية كل كلام يؤدّي نفس الوظيفة.

وما يعزز وظيفة التّنغيم في التركيب هو وقوع النبر على المقطع الّذي يكون منغما، فكلمة اتقوا(ص ح ص+ ص ح+ ص ح ح) يقع فيها النّبر الأوّلي نبر الشدة على المقطع (ص ح)، وفي هذه المفردة تبرز النغمة الصاعدة لما فيه من أمر، وعليه فإن المقطع كان حاملا للنّبر والنّغمة معان كما أن الضغط على مقطع من الكلمة دون المقاطع الأخرى فيه علو وقوة في النطق، وهما خاصّيتان من خواص التنغيم.

قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (200)﴾ [سورة آل عمران الآية:200]، نداء حقيقي للذين آمنوا تضمّن جملة من الأوامر فقد «ختم الله تعالى هذه السّورة بوصية عامة للمؤمنين تؤهّلهم لإجابة الدعاء والنصر في الدنيا والثّواب في الآخرة، وتتضمن الوصيّة الصبر على التكاليف الدينية، والمصابرة للأعداء والمرابطة وتقوى الإله والخوف منه»[1]، الإيقاع الأخير في السّورة يشهد حركة، نظرا لتتابع الوصايا، وينتج عن هذا التغيير الحركي في تغيير في نغمة الصوت، فتكون صاعدة في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا واربطوا واتقوا الله)، ثم ينتقل التّنغيم من العلوّ إلى الاستواء الذي سرعان ما يبدأ بالانخفاض تدريجيا حتى نهاية الآية، موضع الوقف وتمام الكلام.

2/ الأمر: وقد ورد فعل الأمر في آيات مختلفة من السّورة، منها ما كانت دلالته حقيقية، يُطلب فيها القيام بالأمر على وجه الإلزام، ومنها خرج عن هذه الدّلالة إلى مقاصد أخرى، ومن هذه الآيات:

قال الله تعالى:﴿ **يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** (43)﴾ [سورة آل عمران الآية:43]، هذه الآية خص بها الله تعالى مريم عليها السلام دون غيرها، حيث أمرها « بالقنوت أي لزوم الطاعة والاستمرار عليها، مع استشعار الخشوع والخضوع لله رب العالمين، و قالت الملائكة أيضا لمريم: يا مريم أخلصي العبادة لله وحده وداومي عليها، وأكثري من السّجود لله ومن الرّكوع مع الرّاكعين، فإن ملازمة الطاعات والصّلوات من شأنها أن تحفظ النّعم فالآية الكريمة دعوة قوية من الله تعالى لمريم، ولعباده جميعا بالمحافظة على العبادات ولاسيما الصّلاة في جماعة»[2].

---

[1] – وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص550.

[2] – محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مج2، دار السعادة، القاهرة، مصر، دط، 1393هـ/1973م، ص103، 104.

ويظهر الشكل النغمي للآية من نوع نغمة صاعدة في قوله تعالى(يا مريم) لأن فيه نداء صريحا من الله تعالى، ثم يستمر الإيقاع الموسيقيّ بالارتفاع على طول مقاطع الآية التالية حتى نهايتها، وذلك نظير تضمّنها ثلاثة أفعال أمر جميعها دلت على المعنى الحقيقي، والتي تحمل قوّة في النّطق، وعليه فإن الآية تتلى وفق نسق صوتي مرتفع على طول مقاطعها، حتى يشهد هبوطا في النّهاية، موضع الوقف وتمام الكلام والمعنى.

قال الله تعالى:﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** (12)﴾ [سورة آل عمران الآية:12]، في الآية خطاب قويّ، موجّه من الله تعالى إلى الكفار يتوعّدهم فيها بسوء العاقبة، فهذه الآية «استئناف ابتدائي للانتقال من النّذارة إلى التّهديد، بأطنب عبارة وأبلغها لأن المقام مقام إطناب لمزيد من الموعظة»[1]، أداء هذه الآية الكريمة يجب أن يتّسم بشيء من القوّة والعلوّ في درجة الصوت، وذلك مرتبط بما تحمله من دلالة التهديد، وبناء على هذا تتنوع نغمات لآية، يبين نغمة مستوية في بدايتها، إلا أنها تعرف ارتفاعا في قوله تعالى: (ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد)، لأنه في هذا الجزء من الآية تبرز نبرة التأكيد القوية والشديدة على مصير الكفار، وتعرف نهاية الآية تنغيما منخفضا يدلّ على تمام الكلام.

قال الله تعالى:﴿ **واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** (131)﴾ [سورة آل عمران الآية:133]، فعل الأمر (اتقوا) في هذه الآية يقصد به « ابتعدوا عن متابعة المرابين، وتعاطي ما يتعاطون من أكل الربا، الذي يفضي بكم إلى دخول النّار التي أعدها الله للكافرين، وفي هذا شديد الزجر مالا يخفى، فإن للمؤمنين الذين إذا خوطبوا باتقاء المعاصي، إذا علموا أنهم متى فارقوا التقوى أدخلوا النار، وإن هذه أخوف آية في القرآن، حيث وعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه»[2].

خطاب الله تعالى لعباده المؤمنين شديد، يتوعدهم بالنار إذا انتهكوا ما حرمه، وما يتناسب مع هذه الشّدة والقوة في الخطاب الإلاهي، الزّاجر الرّادع، الدّاعي إلى اتّباع الله، وتخويف المؤمنين تلاوة الآية بنمط تنغيمي مرتفع، يصاحبه إيقاع قوي، يتماشى مع الغرض الذي خرج إليه أسلوب الأمر.

---

[1] – محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 175.

[2] – أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج4، ص68.

قال الله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** (51)﴾ [سورة آل عمران الآية:51]، «وهذا أمر لهم بالاعتقاد الحق وهو التوحيد، ثم ملازمة الطّاعة بالقيام بأداء ما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه»[1]، تتلى بداية الآية (إن الله ربي وربكم) بنغمة مسطحة مستوية، لأن الموضع فيه إخبار وتقرير، وهذا لن يثير أي انفعال يستدعي التنويع في وتيرة الصوت، على غرار الأمر الحقيقي في قوله تعالى(فاعبدوه) الذي يتطلب رفع درجة الصوت، لأن فيه دلالة الطلب على وجه الالزام بالعبادة والطّاعة، تم يتدرج هذا المنحنى الصوتي المرتفع شيئا فشيئا نحو الانخفاض معلنا عن تمام الكلام.

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ** (95) ﴾[سورة آل عمران الآية:95]، «أي وإذ قد استبان لكم أن ما يدعوكم إليه محمد صلى الله عليه وسلم هومن ملّة إبراهيم فعليكم أن تتبعوه في استباحة: أكل لحوم الإبل وألبانها، وملته حنيفية سمحاء لا إفراط فيها ولا تفريط»[2].

الأمر في الآية الكريمة صريح، فيه دعوة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأداء الآية الكريمة يعرف تنويعا موسيقيا، فتكون البداية بدرجة الصوت مرتفعة نوعا ما، لورود فعل الأمر(قل)، ثم تزداد درجة الصوت علوّا موضع القصد الذي جاءت لأجله الآية، وهو الأمر بالطاعة، ثم يعرف الإطار النغمي انخفاضا طفيفا، بعد ذلك يعرف ارتفاعا من جديد في قوله تعالى (وما كان من المشركين) لأنّ فيه نفيا.

قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** (102)﴾ [سورة آل عمران الآية:102]، اشتملت الآية في شقّها الأول أمراً وفي الثاني نهيًا، وقد جاء في تفسيرها «أمر الله تعالى المؤمنين بالتزام التقوى حقا، بأن يؤدوا الواجبات ويتجنبوا المنهيات، وذلك باجتناب المعاصي كلها، واتباع الأوامر قدر المستطاع، ثم نهاهم بقوله: ولا تموتن إلا ونفوسكم مخصصة لله » [3].

يمكن تقسيم الآية الكريمة إلى ثلاثة أجزاء، يعرف كل جزء تنغيما صوتيا يشهد علوا في إيقاعه الموسيقي، وذلك نظير وُرود مستهلّ الآية بصيغة النداء في قوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا)، ويتبع هذا النداء أمر الله تعالى لعباده بالتقوى، وذلك في قوله تبارك وتعالى (اتقوا الله حق تقاته)، أما الجزء الثالث يشمل قوله (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

---

[1]-أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج4، ص161.

[2] – المرجع نفسه، ص6.

[3] – وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 349.

وفيه نهي، وعليه فإنّ ما في الآية من صيغ النّداء والأمر والنّهي صريحة، استدعى هذا أن يكون النسق الصوتي مرتفعا على طول الآية، قبل أن يعرف انخفاضا في نهايتها موضع الوقف، فتكون النغمة هابطة على آخر مقطع من كلمة مسلمون (ص ح ص+ ص ح+ ص ح ح+ ص ح) وهو المقطع القصير ص ح.

قال الله تعالى:﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (132)﴾ [سورة آل عمران الآية:132]، وهو أمر حقيقي بطاعة الله ورسوله، فقد جاء في تفسير الآية « وأطيعوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما نهيا عنه من أكل الربا، وما أمر به من الصدقة، كي ترحموا في الدنيا بصلاح حال المجتمع، وفي الآخرة بحسن الجزاء على أعمالكم»[1] هذه الآية تُؤدَّى بتنغيم صاعد في بدايتها، وهذا مرتبط بورود فعل الأمر(أطيعوا) في جزئها الأول، بعدها تشهد نغمة الصوت اعتدلا، وذلك في قوله تعالى:(لعلكم ترحمون)، لأنها جملة تقريرية خبرية، وهذا الاستواء في درجة الصوت يبدأ بالانخفاض تدريجيا حتى يبلغ قمته في نهاية الآية موضع الوقف النهائي، وعليه فإن تنغيم الآية عرف نوعين مختلفين من صور النغمات، نغمة **صاعدة (↑)**، ونغمة **هابطة (↓)**، وبين ذلك الارتفاع والهبوط وردت نغمة **مستوية(→)**، ومجموع النغمات في الآية الكريمة(الصاعدة- الهابطة والمستوية) يمكن أن يطلق عليها مصطلح اللحن، فهو أعم من التنغيم والنغمة.

3) **الاستفهام**: وقد حفلت السورة بالكثير من صيغ الاستفهام، الذي أتى بأدوات استفهام خاصة ك"الهمزة" و"أنّى" و"كيف" مثلا، ومعانٍ ودلالات كثيرة منها ما كان حقيقيا ومنها ما خرج عن أصله ليؤدّي أغراضا ومقاصد أخرى تفهم من السياق.

أ- الاستفهام بالهمزة: ومن مواضعه:

قال الله تعالى:﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** (15)﴾ [سورة آل عمران الآية:15]، جاء أسلوب الاستفهام في الآية لغرض «تشويق النفوس المخاطبين إلى تلقي ما سيلقي عليهم» [2]، أما عن النسيج النغمي للآية فيتشكّل في مجمله من درجة صوتية عالية، حيث أن بداية الآية اشتملت على سؤال لاستماله المتابعين للانتباه إليه، يثير فيهم رغبة لمعرفة الجواب، الذي يزيل اللبس والإبهام عن أذهانهم ويريح نفوسهم، الذي يتجسد في قوله تعالى:

[1] – أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج4، ص68.

[2] – محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 184.

(قل أؤنبكم بخير من ذلكم)، وبعد إلقائه كأن المؤمنين أجابوا نعم لورود الإجابة بعد ذلك، وقد استعيض عن الإجابة بالتنغيم الذي يتجسد في سكته حقيقية بعد طرح السؤال، وبعدها يأتي قوله تعالى(جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)، الذي ينتقل بنغمة الكلام من العلو والارتفاع إلى الانخفاض شيئا فشيئا، حتى قوله تعالى: (والله بصير بالعباد) موضع تمام الكلام، والإقرار بحقيقة قدرة الخالق.

وكما سبق الذكر بأن النبر الصوتي هو ضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، يجعله بارزا وواضحا دون بقية المقاطع، فكلمة (أنبئكم ص ح+ ص ح+ ص ح ص+ ص ح+ ص ح+ ص ح)، يمتاز المقطع القصير من الكلمة (ب: ص ح) بضغط، وهذا أسلوب استفهام يمتاز بنغمة صاعدة، وهنا تبرز علاقة النبر بالتنغيم، بوقوع كل منهما على نفس التركيب.

قال الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ** (23)﴾ [سورة آل عمران الآية: 23]، أسلوب الاستفهام في الآية الكريمة سيق بغرض التعجب، ومعناه «ألم تر إلى هؤلاء الذين تستحق أن تعجب لهم من اليهود، كيف يعرضون عن العمل بالكتاب الذي يؤمنون به إذا لم يوافق أهواءهم»[1]، جاء التّنغيم في هذه الآية في مجمله صاعدا، فالجملة استفهامية خرجت عن معناها الأصلي؛ فلا يُطلب من وراء التّساؤل إجابة، وما ساهم في إدراك المعنى الذي تضمنه الأسلوب من تعجب هو طريقة أداء المقطع الأوّل من الآية، الذي يشمل قوله تعالى: (ألم ترا إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب)، حيث أن غرض التعجب يستلزم رفعنا في درجة الصوت، لإيصال دلالات الحيرة والاستغراب من حال اليهود، ويلي هذا المقطع سكتة خفيفة، ثم تعود درجة الصوت للارتفاع لا تلبث إلا أن تعرف استواء ينحدر شيئا فشيئا نحو الهبوط، حتى نهاية الآية في قوله تعالى: (وهم معرضون).

قال الله تعالى: ﴿**ولا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** (80)﴾ [سورة آل عمران الآية: 80]، «فالنبي يوقن أنه عبد وأن الله وحده هو الرّب، الذي يتجه إليه العباد بعبوديتهم وبعبادتهم، فلا يمكن أن يدعي لنفسه صفة الألوهية»[2]، تؤدى هذه الآية بطريقة تتماشى مع مقاصدها، حيث ينطلق الصوت مرتفعا في بدايتها، وذلك في قول المولى عز وجل: (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) موضع نفي

[1] – أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج4، ص123.

[2]– سيد قطب: في ظلال القرآن، مج1، ج3، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 1423هـ/ 2003م، ص419.

دعوة النّبي النّاس لعبادة غير الله سبحانه وتعالى، ثم تكون هناك سكتة خفيفة قبل استئناف الحديث، وتعود درجة الصوت للارتفاع لورود استفهام يشمل قوله تعالى(أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وهو استفهام إنكاري، ينفي نسبة النبي صلى الله علية وسلم الألوهية لنفسه، وعليه فإن تنغيم الآية يعرف ارتفاعا في موضعين، في بداية الآية ونهايتها تماشيا مع النفي والاستفهام الإنكاري، تحقيقا وتجسيدا لهذه الدّلالات.

قال الله تعالى:﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** (83)﴾ [سورة آل عمران الآية: 83]، والاستفهام هنا جاء « للتوبيخ والتحذير، وكله تفريع ذكر أحوال أولئك الأمم، كيف اتبعوا غير ما أخذ عليهم العهد، والاستفهام حينئذ للتعجب»[1]، من خلال التفسير يُدرك أن أسلوب الاستفهام هنا غير حقيقي، وهو أسلوب يستدعي عند النطق به طريقة أداء معينة، يجيب فيها رفع مستوى الصوت عن الحالة العادية، لإيصال دلالة التعجب والتحذير كما في هذه الآية، وخاصة في بدايتها بقوله عز وجل: (أفغير دين الله يبغون)، وبالرغم من أن أداة الاستفهام الهمزة موجودة في التركيب لتدل على كون الأسلوب ليس خبري بل إنشائي وصيغته الاستفهام، إلا أن طريقة الأداء ساعدت على معرفة هذا النمط من الجمل(الاستفهامي).

قال الله تعالى:﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** (106)﴾[سورة آل عمران الآية: 106]، « وهنا يرسم السّياق مشهدا من المشاهد القرآنية الفائضة بالحركة والحيوية، فنحن في مشهد هول، يتمثل في وجوه وسمات، هذه وجوه قد أشرقت بالنور، وهذه وجوه اسودّت من الكآبة»[2]، في الآية حديث عن فريقين من الناس يكون يوم القيامة، فريق تكون سرائرهم مبسوطة، وآخر تكون وجوهم مسودّة، وقد خُصَّ مقطع من الآية بالحديث عن الفريق الثاني، لتصوير هول مشهد الكفار وعاقبتهم، كان لزاما رفع وتيرة الصوت تدريجيا بدء من قوله تعالى (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم)، إلى أن تصل قمة علوّها موضع الأمر في قوله تعالى(فدقوا العذاب بما كنتم تكفرون)، بيان للجزاء المحتوم الذي يناله كل كافر.

[1] – محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 300، 301.

[2] – سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص 445.

ب– الاستفهام بـ"أنّى": ومن الآيات التي ورد فيها:

قال الله تعالى:﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** (40)﴾ [سورة آل عمران الآية: 40]، موضع الاستفهام في الآية هو قوله تعالى:(أنّى يكون لي غلاما)، والمراد منه التعجب، حيث « تعجب زكريا قائلا كيف يكون لي غلام، وقد أصبحت كبير السن، وامرأتي عقيم لا تلد، فأجابه الله تعالى عن طريق الملائكة، كذلك يفعل الله مثل ذلك الخلق غير المعتاد»[1].

القالب التّنغيمي للآية يشهد صعودا في درجة الصوت، وذلك نظير افتتاح الآية بتساؤل نبي الله زكريا الذي فيه استغراب وحيرة، استدعت أن يكون لجملة الاستفهام تلوين موسيقي خاص يمتاز بالعلو، في حين يعرف هذا الارتفاع انخفاضا ملحوظا موضع إجابة المولى عز وجل (كذلك الله يفعل ما يشاء)، لجعل زكريا يطمئن ويدرك عظمة الله وقدرته.

قال الله تعالى:﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** (47)﴾ [سورة آل عمران الآية: 47]، أي قالت كيف يكون لي ولد وليس لي زوج، وقد يكون قصدها التعجب من قدرة الله واستعظام شأنه» [2]، ونغمة السؤال صاعدة في الاستفهام الذي أريد منه معاني التعجب والدهشة والحيرة، الذي يتمثل في قوله تعالى: (قالت ربّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر)، لكن بمجرد تلقي الإجابة عن السؤال يبدأ النغم بالتنازل شيئا فشيئا، حتى تصبح النغمة هابطة مع نهاية الآية الكريمة، حيث تمام المعنى.

ج– الاستفهام ب "كيف": ورد في آيات عدة من بينها:

قال الله تعالى﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** (25)﴾ [سورة آل عمران الآية: 25]، جاء في تفسير الآية «إنه التهديد المرعب الذي يشفق المؤمن أن يتعرض له، وهو يستشعر جدية هذا اليوم، وجدية لقاء الله ... وهو تهديد قائم للجميع ... وسؤال يُلقى ويُترك بلا جواب... وقد اهتز القلب وارتجف وهو يستحضر الجواب» [3]

---

[1] – وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص238.

[2] – أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج4، ص 152.

[3] – سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص 383.

أسلوب الاستفهام في الآية الكريمة خرج عن غرضه الحقيقي، إلى معنى مجازي هو التهديد والوعيد، لاستشعار عظمة وهول ما أعدّه الله لعباده، وهناك سبيل للوصول إلى هذه الدلالات عن طريق التنغيم، الذي يلعب دورا هاما في تحديد نغمة الاستفهام الصاعدة من خلال الكلام المنطوق، والآية في مجملها تُؤدى بدرجة صوتية مرتفعة، لأن الاستفهام لم يرد فيه جواب فكان بمثابة كلام معلّق، تمامه مرتبط بالجواب.

قال الله تعالى ﴿ **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (86)﴾ [سورة آل عمران الآية: 86]، الاستفهام في الآية « إنكاري والمقصود به إنكار أن تحصل لهم هداية ... ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملا في الاستبعاد، فإنهم آمنوا وعلموا ما في كتب الله، ثم كفروا بعد ذلك بأنبيائهم...» [1] دلالة الإنكار والاستبعاد التي خرج إليها أسلوب الاستفهام في الآية الكريمة تفيد نفي القيام بالفعل، حيث تنفى هداية الله للقوم الكافرين، وهذه الدلالة تستدعي رفع درجة الصوت، في قوله تعالى: (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرّسول حق وجاءهم بالبينات)، ويشهد الإيقاع الصوتي انخفاضا، ثم يعود للارتفاع في قوله تعالى(والله لا يهدي القوم الظالمين) موضع تأكيد النفي.

قال الله تعالى ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** (101)﴾ [سورة آل عمران الآية: 101]، التنغيم الصوتي يتحكم في الآية ويوزعها على جملتين وأسلوبين مختلفين، فتكون الأولى استفهاميّة تتمثل في قوله تعالى: (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله)، حيث أن نغمة الصوت تكون صاعدة، لإيصال الدلالة التي خرج إليها الاستفهام في هذه الآية، وهي «تعجّب وتوبيخ واستبعاد وقوع الكفر منهم، مع تلاوة القرآن ووجود الرسّول فيهم»[2]، والتعجب له شكله من الناحية الصوتية، ولونه الموسيقي الخاص، وفهم هذا النمط من التركيب لا يقتصر على مضمون الآية فحسب، بل يتعداه إلى استقراء الملامح التي تظهر على وجه القارئ، التي تضمن بعث الإحساس المناسب للموقف، وهذا كله من خلال طريقة الأداء، أما الجملة الثانية التي تشمل قوله تعالى: (ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم)، جملة شرطية تتكون من الشرط (ومن يعتصم بالله) الذي يؤدي بنغمة صاعدة، وجوابه(فقد هُدي إلى صراط مستقيم) ويتلى بتنغيم هابط، ومن خلال كل هذا يدرك أن للتنغيم دور هام في التمييز والتفريق بين أنواع الجمل، وذلك تنوع

---

[1] – محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 303.

[2] – وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 346، 347.

النغمات في الأسلوبين من صاعدة تصاحب أسلوب الاستفهام، وصاعدة هابطة كانت مصاحبة للجملة الخبرية الشرطية.

4) النهي: ورد النهي في آيات متعددة، والغرض الحقيقي منه طلب الامتناع عن فعل ما، وتكون غايته غالبا نيل رضا الله تعالى والفلاح، ومن بين صور النهي:

قال الله تعالى:﴿ **لا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** (28)﴾ [سورة آل عمران الآية: 28].«فالغالب أن المقصود به هم اليهود، وإن كان من الجائز أن يشمل المشركين أيضا، فحتى هذا التاريخ كان بعض المسلمين لا يزالون يوالون أقاربهم من المشركين كما يوالون اليهود، فنهوا عن ذلك كله، وحذّروا هذا التّحذير العنيف» [1].

في الآية نهي واضح وصريح، وتحذير وتهديد عظيم للمؤمنين من موالاة اليهود وعاقبة ذلك، وفي سبيل الوصول إلى دلالات النهي والتحذير والتهديد لا بد من رفع وتيرة الصوت، مع إكساب نبرة الصوت قوة وشدة، لاستشعار المؤمنين أهمية الخطاب الموجه في الآية، وضرورة العمل به، والمقطع الذي يعرف هذا العلو في الدرجة الصوتية يشمل قوله تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) وسرعان ما يعرف هذا الارتفاع انخفاضا عُبّر عنه بسكتة خفيفة، ولا تلبث درجة الصوت بهذه الوتيرة، إلاّ أن تعرف في خِضمّ الآية ليبيّن عاقبة اتباع اليهود والراجح هنا أداء الشق الأول من أسلوب الشرط، والمتمثل في قوله تعالى: (ومن يفعل ذلك) بإيقاع صوتي عال لعدم تمام الكلام وتعلقه بجواب بعده، والذي بمجرد إيراده تنحدر درجة الصوت شيئا فشيئا، ثم تعرف ارتفاعا من جديد في موضع التحذير والذي عُبَّر عنه بالفعل (وَيُحَذِّرُكُمْ) وفيه تهديد شديد على المعارضة والمخالفة، أمّا نهاية الآية تشهد انخفاضا واضحا في درجة الصوت وتمام الكلام.

قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** (118) ﴾[سورة آل عمران الآية: 118] ، «والكلام في هذه الآية تحذير للمؤمنين من مخالطة الكافرين، مخالطة تدعو إلى الإباحة بالأسرار

[1] – سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص 363.

... ومما دعا إلى هذا النهي أنه كانت بين المؤمنين وغيرهم صلات خاصة، تدعو إلى الإباحة بالأسرار إليهم ... أي لا تتحذوا أيها المؤمنون الكافرين كاليهود والمنافقين أولياء لكم دون المؤمنين ...»[1].

الخطاب الإلاهي موجه للمؤمنين قصد تحذيرهم، ونهيهم عن الانخداع باليهود فهم يضمرون في قلوبهم السوء لهم، وبناء على هذا تُؤدى الآية بنغمة صاعدة في بدايتها، تتماشى مع موضعي (النداء) في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا)، لأن محاولة لفت الانتباه تستدعي رفع الصوت، و (النهي) في قوله تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم)، لكن هذا العلو في وتيرة الصوت سرعان ما يشهد استواء لموضع ذكر أوصاف هؤلاء الكافرين، ثم يبدأ الإيقاع الموسيقي بالانحدار شيئا فشيئا حتى نهاية الآية، موضع تمام الكلام.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (139)﴾[سورة آل عمران الآية: 139]: وقد جاء في تفسيرها: «وليس لكم أن تضعفوا وتحزنوا وأنتم الأعلون والعاقبة والنصر لكم أيّها المؤمنون، بمقتضى سنة الله في جعل العاقبة للمتقين، والمراد بالنهي عن الوهن والحزن النهي عن الاستسلام والعودة إلى التأهب والاستعداد»[2] وفيما يخصّ تنغيم الآية فهي تتلى في بدايتها بنغمة صاعدة، وذلك مرتبط باشتمال المقطع الأول من الآية على نهي صريح للمؤمنين عن الضعف واليأس، والذي عبَّر عنه بالفعلين (تهنوا وتحزنوا) مسبوقين بـ "لا": الناهيّة، حيث أن الردع عن فعلها يستدعي نوعا من القوة والشدّة، ثم تبدأ وتيرة الصوت بالانخفاض شيئا فشيئا في قوله تعالى (وأنتم الأعلون) موضع بيان قيمة المؤمنين، حتى خاتمة الآية.

قال تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [سورة آل عمران، الآية 169]، والآية «نص في النهي عن حسبان أن الذين قتلوا في سبيل الله وفارقوا هذه الحياة وبعدوا عن أعين الناس أموات ونص كذلك في إثبات أنهم أحياء عند ربهم ثم يلي هذا النهي وهذا الإثبات وصف ما لهم من خصائص الحياة»[3]. التنغيم المناسب للآية أظهر غرضها الحقيقي، فنبرة الصوت المرتفعة في بداية الآية في قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾، كانت أكثر التصاقا بمعنى النهي الذي سيقت لأجله الآية الكريمة، هذا وقد تداخل مع التنغيم ظاهرة صوتية أخرى ساهمت في تأدية وظيفته الدلالية؛ حيث

---

[1]– أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج4، ص 43، 44.

[2] – وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 425.

[3] – سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص517.

أن عبارة (ولا تحسبنّ: ص ح ص+ ص ح+ ص ح ص+ ص ح) وقع النّبر فيها على المقطع المتوسط الذي يسبق آخر مقطع في الكلمة، حيث أنه عرف ضغطا بارزا مقارنة بباقي مقاطع الكلمة، وهذا الضغط يجعل نطق المقطع يعرف نوعا من العلو في درجة الصوت، وهذه الكلمة أيضا تعرف قمة التنغيم الصاعد لما فيها من دلالة النهي، وبناء على كل هذا تبرز علاقة التنغيم بالنبر في وقوع كل منهما على نفس اللفظة، كما يظهر ارتباط التنغيم بالوقف في قوله تعالى في نهاية الآية (يُرزقون) حيث تنتهي بنغمة هابطة تدل تمام الكلام في معناه ومبناه، والوقف التام في خاتمة الآية أدى نفس الوظيفة الدلالية.

المطلب الثاني: النغمة الهابطة

التنغيم المنخفض ويتمثل في الجمل التقريرية ذات المعنى التّام، ونجدها في سياق الدعاء هذا الأخير نجده في مواضع متعددة من السورة ومنها:

قال الله تعالى:﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾[سورة آل عمران، الآية 8]، وردت الآية الكريمة بصيغة النداء، نداء من العباد إلى رب العزة والمقصود منه الدعاء بدافع التذلل والتضرع لله عز وجل، والخوف من اتباع الشهوات والخروج عن الطريق المستقيم بعد الهداية، وهو «دعاء علمه النبي- صلى الله عليه وسلم، تعليما للأمة، لأن الموقع المحكي موقع عبرة ومشار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الّذين في قلوبهم زيغ فما هو إلاّ من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول والمشاعر فما كان ضلالهم إلا عن حرمانهم التوفيق، ووسائل الاهتداء».[1]

ومن الواضح أن الآية تحتوي على تنغيمات موسيقية ، تجعل الكلام يسير على نسق صوتي واحد ، حيث أن الصوت ينخفض في قوله تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا)، هذا الطلب الأول الذي نلتمس فيه خضوعا وتذللا، يحتمان صوتا خافتا، فالقلب المؤمن يدرك قيمة الاهتداء بعد الظلال والانحراف، وفي الشطر الثاني من الآية يتدرج التنغيم نحو الانخفاض شيئا فشيئا، وذلك في قوله تعالى: (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)، وفيه طلب مليء بالإصرار والإلحاح، فقد توجهت قلوب العباد إلى الخالق بأن يمدهم بالرحمة، وعليه انطلق أسلوب الآية بوتيرة صوتية منخفضة، واستمر على ذلك النحو حتى نهايتها ليدل على تمام المعنى ووضوحه، وما يناسب الدعاء إلا التنغيم الهابط.

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص169.

قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[سورة آل عمران الآية 9]، الآية الكريمة وردت بصيغة النداء، والقصد منه هو لفت انتباه المؤمنين لحقيقة لا مفر منها، وأن الله سبحانه وتعالى جامع الناس ليوم لا شك فيه، محسنهم ومسيئهم ليوم الحساب، والسياق الذي وردت فيه هو الدعاء لطلب الرحمة.

وتظهر من طريقة أداء الآية أنها تتلون بتلوينات موسيقية، تجعل الكلام لا يسير على وتيرة صوتية واحدة، فتجد تتابع النغمات وتداولها بشكل منتظم بين الانخفاض والاستواء، مما ينتج عنه لحن موسيقي والنغمة عنصر من عناصر اللحن الذي بدوره يتشكل من مجموع تلك النغمات التي لها صلة وثيقة بموسيقى الكلام، وهي أبرز العلاقات التي تربط التنغيم باللحن.

فالصوت ينخفض في قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ)، وهو نداء من العبد إلى ربه «وفي هذه الآية إشعار بأن نهاية أمل المؤمنين أن يظفروا بالجزاء الحسن من خالقهم يوم القيامة، فسألوه أن يثبت الإيمان وسعة الرحمة وتوجهوا إليه بالمقصود الأعظم وهو حسن الثواب يوم القيامة»[1]، وبعدها يستوي في الموضع الموالي وذلك في قوله تعالى: (لا رَيْبَ فِيهِ)، فالمؤمنون ينتظرون رحمة الله وفضله. كما ينخفض الصوت في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) حتى ينتهي بنغمة هابطة، وعليه فإن أسلوب الآية ورد بوتيرة صوتية منخفضة، جاء التنغيم هابطا وبعدها استوت درجة الصوت، لتنتهي بنغمة هابطة تدل على وضوح المعنى وتمامه.

قال الله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[سورة آل عمران، الآية 38]. الآية الكريمة تضمنت دعاء والمتمثل في طلب الذرية الطيبة لأنّها زينة الحياة الدنيا لحصول الآثار الصالحة وهو دعاء من زكريا إلى الله سبحانه وتعالى، ينتظر تحقيقه فقد كان في حسرة من عدم الولد، «ففي ذلك المكان الطاهر الذي كان يلتقي فيه زكريا بمريم، ويرى من شأنها ما يرى من فضائل وغرائب، تحركت في نفسه عاطفة الأبوة، وهو الشيخ الكبير الذي وهن عظمه

واشتعل الرأس شيبا، وبلغ من الكبر عتيا، فدعا الله تعالى بقلب سليم، وبنفس صافية، وبجوارح خاشعة، أن يرزقه الذّرية الصّالحة»[2].

---

[1]- محمد سيّد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص37.

[2]- المرجع نفسه، ص 92،93.

فنجد الإطار النغمي مرتفع في بداية هذه الآية في قوله تعالى: (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ)، والملائم لها أن تؤدى بتنغيم عال، كونها متعلقة بمناجاة العبد لربّه، ثم ينخفض الصوت تدريجيا حتى ينتهي بنمط تنغيمي هابط وذلك في قوله تعالى:(قَالَ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذرية)، فالله عزو وجل قادر على كل شيء، يمنح العطاء لمن يشاء.

قال تعالى:﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [سورة آل عمران، الآية 16]. أي «إن الذين اتقوا معاصي الله وتضرعوا إليه خاشعين يقولون مبتهلين: ربّنا إننا آمنا بما أنزلته على رسلك إيمانا يقينا راسخا في القلب مهيمنا على العقل له السلطان على أعمالنا التي لا تتحول عن طاعتك إلا لنسيان أو جهالة كغلبة انفعال يعرض ثم لا يلبث أن يزول»[1].

ويظهر من خلال طريقة أداء الآية أنّها تشتمل على تلوينات صوتية، فتجد الصوت يستوي في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ)، وبعدها ينخفض في قوله تعالى:(رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)، هذا الطلب ضرب من الدعاء، يلتمس فيه خضوعا وتذللا للخالق، يتطلب صوتا خافتا.

قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [سورة آل عمران، الآية 53]. فهو عبارة عن دعاء من العبد إلى الله سبحانه وتعالى، فالمؤمنون «قد صدروا ضراعتهم إلى الله بالاعتراف الكامل بربوبيته ثم أعلنوا إيمانهم به، وبما أنزل على أبنائه، ثم أقروا باتباعهم لرسوله والأخذ بسنته، ثم التمسوا منه- سبحانه- بعد ذلك أن يجعلهم من عباده الذين رضى عنهم وأرضاهم».[2]

إن الإطار النغمي انخفض في أسلوب الدعاء فهو تضرع للمولى عز وجل في طلب الرضا، ويستوي الإيقاع الصوتي في قوله تعالى: (بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ)، أي أنهم أعلنوا إيمانهم ،وبعدها يتدرج التنغيم الصوتي في الانخفاض شيئا فشيئا، حتى ينتهي بنغمة هابطة وذلك في قوله تعالى: (**فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**)؛ أسلوب الآية بدأ بوتيرة صوتية هابطة وبعدها استوت درجة الصوت حتى انتهت بنغمة هابطة لتدل على تمام المعنى ووضوحه.

قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتْ إِمْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [سورة آل عمران، الآية 35]، تتضمن الآية الكريمة أسلوب الدعاء، والمتمثل في التضرع إلى الله. « وكذلك آل

---

[1]- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج3، ص111.

[3]- محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص120.

عمران، دعت امرأة عمران بقبول ما كانت نذرته لله تعالى، ولذلك حين ذكرت النذر، ودعت بتقبله أخبرت عن ربّها بأنه السميع العليم، بصدق نيّتها بنذرها ما في بطنها لله تعالى».[1]

من خلال طريقة أداء الآية يتبين بأنها تشتمل على نغمات صوتية، تجعل الكلام لا يسير على نسق صوتي محدد، عند نطق المقطع الأول تجد الصوت يرتفع كقوله تعالى: (إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ)، ومحل الآية الدعاء الذي هو الطلب على سبيل التضرع الذي يقتضي الخضوع والتذلل، لذا كان الصوت ينخفض في قوله تعالى: (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ) فالتنغيم المناسب لمقام الدعاء تنغيم هابط، لأنه يتناسب مع تذلل المخلوق لخالقه عز وجل وإظهار حاجته وضعفه لربه، مع اليقين التام بأن الله لن يخيب أمله.

ونجد الإطار النغمي يرتفع في قوله تعالى: (إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ)، وينخفض الصوت شيئا فشيئا حتى ينتهي بنغمة هابطة ذلك في قوله: (فتقبل مني إنك أنت السميع العليم) فمقام الدعاء هنا يتناسب مع النغمة الهابطة.

فأسلوب الآية انطلق بوتيرة صوتية مرتفعة، فورد التنغيم صاعدا ثم انخفضت درجة الصوت وبعدها استوت، حتى انتهت بنغمة هابطة لتدلّ على تمام المعنى.

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [سورة آل عمران، الآية 36].

وردت الآية الكريمة بغرض التحسر في أكثر من موضع، فامرأة عمران لجأت إلى ربّها وهي في تحسر ، «لما ولدتها قالت على وجه التحسر والاعتذار يا رب إنها أنثى لأنه لم يكن يقبل في النذر إلا الذكور فقبل الله مريم، قال تعالى (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) من كلامه تعالى تعظيما لشأن هذه المولودة وما علق بها من عظائم الأمور وجعلها وابنها آية للعالمين».[2]

فالنذر كان يقبل فقط للذكور وذلك في قوله تعالى: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ).

إن الإطار النغمي يستوي في بداية الآية، وذلك في قوله تعالى: (فلما وضعتها قالت)، وبعدها يعرف انخفاضا حتى نهاية الآية كقوله تعالى: (رب إني وضعتها أنثى ... وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم).

---

[1]- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ص 455.

[2]- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص 181.

تصدر الموسيقى عن أصوات ذات نغمات متنوعة، وطريقة نظم الآية تتناسب مع الصيغ التنغيمية، التي تتداول بشكل متسلسل بين الانخفاض والاستواء، فتشكل تلوينا إيقاعيا يترك للسامع انتباها عجيبا والتنغيم جزء لا يتجزأ من الموسيقى.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران، الآية 147].

تضمنت الآية دعاء المؤمنين لله تعالى بأن يغفر لهم ذنوبهم خوفا من سوء المصير، «إنّهم لم يطلبوا نعمة ولا ثراء، بل لم يطلبوا ثوابا ولا جزاء، لم يطلبوا ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة، لقد كانوا أكثر أدبا مع الله، وهم يتوجهون إليه، بينما هم يقاتلون في سبيله، فلم يطلبوا منه- سبحانه وتعالى إلا غفران الذنوب وتثبت الأقدام، والنصر على الكفار، فحتى النصر لا يطلبونه لأنفسهم إنما يطلبونه هزيمة للكفر وعقوبة للكفار».[1]

كما يتبين من خلال طريقة أداء الآية أنها تشتمل على تنغيمات صوتية فتجد الصوت يستوي في قوله تعالى: (وما كان قوله إلاّ أن قالوا)، وبعدها ينخفض الصوت تدريجيا إلى أن ينتهي بنغمة هابطة، كقوله تعالى:(ربّنا اغفر لنا...وانصرنا على القوم الكافرين).

انطلق أسلوب الآية بوتيرة صوتية مستوية، ثم تدرج في الانخفاض فالتنغيم الملائم لمقام الدعاء النغمة الهابطة.

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار** ﴾ [سورة آل عمران، الآية 191].

جاءت الآية الكريمة لتنير القلوب بأدلة التوحيد« هذه هي اللمسة الأولى التي تمس قلوب أولي الألباب من التفكر في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وهي التي تطبع حسهم بالحق الأصيل في تصميم هذا الكون تطلق ألسنتهم بتسبيح الله وتنزيهه أن يخلق هذا الكون باطلا».[2]

ويظهر من طريقة أداء الآية أنّها تتلون بتلوينات صوتية مختلفة، فتجد الصوت يستوي في الموضع الأول من الآية وذلك في قوله تعالى:(الذين يدكرون الله قياما...في خلق السموات والأرض)، وينخفض الصوت تدريجيا حتى ينتهي بنغمة

[1]- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص489.

[2]- المرجع نفسه، ص546

هابطة كقوله تعالى:(ربّنا ما خلقت هذا باطلا...فقنا عذاب النار)، وهو نداء من المؤمنين إلى الله تعالى بطلب الرحمة والنجاة من عذاب النار.

قال الله تعالى:﴿ **قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (26) ﴾[سورة آل عمران الآية: 26]

تضمنت الآية الكريمة الحديث عن قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأهل الكتاب، الذين ينكرون نبوته.

والنبي صلى الله عليه وسلم لجأ إلى ربه بالدعاء وذلك في قوله تعالى: (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ...)، فليس لأحد ملكية أصلية يتصرف فيها على هواه، إنما هي ملكية المولى عز وجل.

« وهذه القوامة على شؤون البشر وهذا التدبير بأمرهم بالخير ليس طرفا من القوامة الكبرى على شؤون الكون والحياة على الإطلاق». [1]

يتضح من طريقة أداء الآية أنها تتلون بتلوين صوتي يؤدى على نفس الوتيرة، بشكل منتظم، فالصوت ينخفض تدريجيا حتى ينتهي بنغمة هابطة (↓) للدلالة على تمام المعنى ووضوحه.

المطلب الثالث: النغمة الصاعدة الهابطة:

قد ترد كل النغمتين الصاعدة والهابطة في منطوق واحد، ويظهر هذا في جملة من الأساليب الشرطية، والتي تضمنتها آيات متعددة منها:

قال الله تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (31)﴾ [سورة آل عمران الآية: 31]، هذه الآية في مجملها تعرف استواء في درجة الصوت يميل إلى الانخفاض بدءا من قوله تعالى: (والله غفور رحيم)، أما المقطع الأول من الآية فيصاحب نطقه نغمتان متباينتان، وإن كانتا متصلتين، فالأولى منهما تصاحب الجزء الأول من المنطوق، في قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله) وهي النغمة الصاعدة، دليلا على أن القول لم ينته بعد، أما النغمة الثانية فتكسو الجزء الثاني من الجملة، وهو قول المولى عز وجل: (فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم).

[1]- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص 384.

وهذا التباين مرده أسلوب الشرط، الذي يمكن تقسيمه نطقيا إلى مقطعين الأول غير تام يحتاج إلى ما يتممه، ويكمل معناه وهو جوابه، وعليه فإن النسيج التنغيمي للتركيب ككل يعرف صعودا في البداية، ثم استواء يميل إلى الانخفاض تدريجيا إيذانا بتمام المعنى.

قال الله تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (29)﴾ [سورة آل عمران الآية: 29]، إن القالب التنغيمي الذي يميز تركيب الآية، يفرض على القارئ أن يصعد بدرجة صوتية، لتكون في مستوى التعبير عن كلام لم يتم معناه، في قوله تعالى: (قل إن تخفوا ما في صدوكم أو تبدوه)، أما في قوله تعالى: (يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض)، يُنطق هذا الشطر من أسلوب – الشرط والذي تصدّر بداية الآية – بنغمة هابطة تدل على تمام الكلام، ويتبع هذا الأسلوب جملة تقريرية تتجلى في قوله تعالى: (والله غفور رحيم) وتحقق بدرجة صوت مستوية تميل إلى الانحدار، حتى تختم الآية بنغمة هابطة.

قال الله تعالى:﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ** (63) ﴾[سورة آل عمران الآية: 63]

يؤدي التنغيم وظائف عدة على مستوى التراكيب، كما سبق ذكره، وتبرز وظيفته النحوية بجلاء في هذا المثال، فهو عامل أساسي في بيان أن الجملة أو الأسلوب تام في مبناه ومعناه أو غير ذلك، حيث إن قوله تعالى: (فإن تولوا) تتلى بنغمة صاعدة، أمارة على عدم تمام الكلام، سواء في مبناه – فأسلوب الشرط تركيبا يتكون من ركنين أساسين هما الشرط وجوابه–، ومعناه لأن أداة الشرط وجملة الشرط لا تحصل بهما فائدة، أما قوله تعالى : (فإن الله عليم بالمفسدين) يصاحب نطق هذا الجزء من الآية تنغيم هابط لأنه جواب الشرط، ودليل على تمام المعنى وتحقق المقصد، وبين الشرط وجوابه يمكن وضع علامة ترقيم في الكتابة تنظم المنطوق، وهي الفاصلة دليلا على استمرارية الكلام وارتباط شطري الجملة بعضها ببعض، وفي النهاية توضع نقطة دليلا على الاكتمال، أما من حيث الأداء فإن التغنيم يؤدي ما يشبه هذه الوظيفة التنظيمية لعلامات الترقيم، والنطق بنغمة صاعدة في مستهل الآية يصاحبه وقفة خفيفة، ليست بالوقف التام وذلك قبل استئناف كلام لاحق، ينتهي بوقفة تامة لتمام المعنى.

قال الله تعالى:﴿ **فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ** (**82**)﴾ [سورة آل عمران الآية: 82]

سياق الآية يجعل القارئ يدرك أن الأسلوب أسلوب شرط، ولكن هناك قرينة تسير جنبا إلى جنب مع السياق وتساهم في هذا الإدراك ألا وهي قرينة التّنغيم الصّوتي، حيث إن درجة الصوت المتنوعة التي تتلى بها مقاطع الآية، من ارتفاع في نهاية المقطع الأول من الجملة في قوله تعالى: (فمن تولى بعد ذلك)، وانخفاض فيما يليه من مقطع، لها دور فعّال في إيصال مقاصد الآية، والتي جاء في تفسيرها أن «من أعرض بعد أخذ الميثاق، واتخذ الدّين آلة للتفريق والعدوان، ولم يؤمن بالنبي المتأخر المصدّق لمن تقدمه، فأولئك الجاحدون هم الفاسقون»[1]

قال الله تعالى:﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ (85)**﴾ [سورة آل عمران الآية: 85].

في الآية بيان واضح لجزاء من يتخذ لنفسه دينا غير الإسلام، والإيقاع الموسيقي الذي يظهر أثناء أداء الآية يجعل مقاطعها لا تسير على نسق صوتي وموسيقي واحد، بل يرتفع الصوت ويعلو في بدايتها، في قوله تعالى: (ومن يتبع غير الإسلام دينا)، ويكون لهذا الارتفاع تأثير واضح في دلالة أسلوب الشرط، الذي يحتاج إلى جواب يحقق الفائدة ويتمم المعنى، وهو قوله تعالى: (فلن يقبل منه)، وينطق هذا الجزء بوتيرة صوتية منخفضة تستمر حتى نهاية الآية في قوله تعالى: (وهو في الآخرة من الخاسرين) وهذه الجملة تقريرية خبرية تحقق بنغمة مستوية تميل إلى الهبوط.

قال الله تعالى:﴿ **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)** ﴾ [سورة آل عمران الآية: 120]، وردت في الآية الكريمة أساليب شرطية ثلاث، أما الأول في قوله تعالى: (إن تمسكم حسنة تسؤهم)، يؤدى الجزء الأول منه بنغمة صاعدة (إن تمسكم حسنة)، أما جواب الشرط (تسؤهم) تنطق بنغمة هابطة، والثاني (وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها)، يحتاج نطق (وإن تصبكم سيئة) إلى رفع مستوى الصوت، في حين ينخفض في قوله تعالى: (يفرحوا بها)، والأمر ذاته بالنسبة لقوله تعالى (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا)، وإنما كان الصوت مرتفعا في الأجزاء الأولى من أساليب الشرط لأن الكلام لم يكتمل، ويظل ناقصا دون جوابه، بينما عرفت درجة الصوت انخفاضا في جواب الشرط لأنه به يكتمل مبنى التركيب ومعناه أيضا، وبعد أساليب الشرط يرد قوله تعالى: (إن الله بما يعملون محيط)، وتحقق هذه الجملة بنغمة مستوية لأنها خبرية تقريرية، وتميل نحو الانخفاض شيئا فشيئا حتى تنتهي بنغمة هابطة.

[1]- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج4، ص 197.

المطلب الرابع: النغمة المستوية:

وتكون في الكلام التام في معناه حيث « إن إكمال المعنى في المجموعة الكلامية لا يحقق ارتفاعا في درجة التنغيم، ولا انخفاضا فيه، إنما مرحلة وسطى بين الأمرين عكس الكلام غير مكتمل في دلالته الذي ينتج شوقا من المخاطب وتأثير أكبر من منتج النص في المتلقي»[1].

قال الله تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (3)**﴾[سورة آل عمران الآية: 3]، تتضمن الآية في شطرها الأول «جملة حقائق أساسية في التصور الإعتقادي، وفي ذلك رد على أهل الكتاب وغيرهم من المنكرين لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم- وصحة ما جاء من عند الله سبحانه وتعالى»[2] وذلك في قوله تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ...)

وما يدور حول تفسير الآية فهو إخبار بأن هناك إله واحد ينزل الكتب على المختارين من عباده.

من خلال طريقة أداء الآية يتبين أنها تشتمل على نغمة صوتية جعلت الكلام يسير على نسق صوتي واحد وهي النغمة المستوية من بداية الآية حتى نهايتها وذلك في قوله تعالى: (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوارة والإنجيل).

قال الله تعالى﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2)**﴾[سورة آل عمران الآية: 2]، بدأت الآية الكريمة في مواجهة أهل الكتاب المنكرين لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم، بحكم معرفتهم بالنبوات والرسالات والكتب المنزلة.

وما يدور حول تفسير الآية فهي تتحدث عن هذا «التوحيد الواضح الخالص لا مكان للعبودية إلا الله، ولا مكان للإستمداد إلا من الله لا في شريعة أو نظام»[3].

انطلق أسلوب الآية بوتيرة صوتية مستوية لتدل على اكتمال المعنى ووضوحه.

قال الله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6)**﴾ [سورة آل عمران الآية: 6]، تضمنت الآية الكريمة الرّد على الحديث «تصوير البشر لأنه من أعجب مظاهر القدرة، ولأن فيه تعريضا

---

[1] – تحسين فاضل عباس: البحث الصوتي وجمال الأداء، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، ط1، 1437هـ/2016م، ص82.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص 367

[3] – المرجع نفسه، ص ن.

بالرد على النصارى في اعتقادهم إلاهية عيسى من أجل أن الله صوره بكيفية غير معتادة، فبين لهم أن الكيفيات العارضة للموجودات كلها من صنع الله وتصويره»[1].

وإن في تفسير الآية إخبار عن كيفية الخلق والتصوير بإرادته جعل العباد على صورة متغايرة في أرحام الأمهات كما يشاء من ذكر وأنثى، وذلك واضح في قوله تعالى (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم).

ويتضح من طريقة أداء الآية أنها تتلون بتنغيم صوتي يتداول بشكل منتظم، والمناسب لتأديتها هو التنغيم المستوي في قوله تعالى: (هو الذي يصوركم في الأرحام).

كما يتجلى في قوله تعالى: «كيف يشاء إخبار منه سبحانه بأن هذا التكوين والتصوير في الأرحام، يتبع لمشيئته وقدرته وليس خاضعا لقانون الأسباب والمسببات، إذ هو الفعّال لما يريد».[2]

انطلق أسلوب الآية بوتيرة صوتية مستوية، من البداية حتى النهاية للدلالة على تمام المعنى.

قال الله تعالى ﴿ **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (17)** ﴾[سورة آل عمران الآية: 17]، اشتملت الآية على مجموعة من الصفات، وهي «الصبر الذي هو ملاك فعل الطاعات وترك المعاصي وكذلك الصدق فهو استقامة وبث للثقة بين أفراد الأمة، أما القنوت فهو ملازمة العبادات في أوقاتها وإتقانها»[3].

هذه الصفات تحقق سمات ذات قيمة في حياة الإنسان.

قال الله تعالى:﴿ **تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)** ﴾[سورة آل عمران الآية: 27]

تضمنت الآية الكريمة الحديث عن خلق الكون، والتعبير التصويري لهذه الحقيقة «وذكر سبحانه مظهرا من مظاهر قدرته الباهرة كقوله تعالى: (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل)»[4]

والسياق العام للآية واضح، ومن طريقة أداء الآية يظهر أنها تشتمل على نغمات صوتية متتالية فالصوت يستوي من بداية الآية إلى نهايتها.

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج3،ص 151.

[2]– محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص 25.

[3] – محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 185.

[4] - محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص 72.

وذلك في قوله تعالى (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت ... بغير حساب) فالله سبحانه وتعالى له الحكمة في خلق هذا الكون.

«حركة في كيان الكون كله وفي كيان كل حي كذلك، حركة خفيفة عميقة لطيفة، تبرزها هذه الإشارة القرآنية القصيرة للقلب والعقل البشري، وهي بيد الله تعالى المبدع اللطيف المدبر»[1].

ورد أسلوب الآية بوتيرة صوتية مستوية للدلالة على وضوح المعنى وتمامه.

[1]- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص385.

الخاتمة

ومن خلال كل ما تقدم يمكن إدراك جملة من النقاط:

- ارتباط علوم العربية قديما بعضها ببعض، جعل دراسة أبواب ومباحث كل علم ضمن علوم أخرى كعلم الأصوات مثلا الذي تناول موضوعاته علماء النحو والقراءات وهذا دليل على ارتباط علم الأصوات بعلم النحو وعلم القراءات القرآنية.
- كان البحث الصوتي في التراث العربي، سواء عند علماء اللغة أو علماء القراءات يركز على بحث الأصوات المفردة، من خلال ترتيبها وتحديد صفاتها ومخارجها، لكن هذا لا يعني إغفالهم لدراسة الأصوات عند مجاورتها لبعضها البعض والتي تشكل ظواهر صوتية، وأصدق مثال على هذا ظاهرة الإدغام التي تعرّض لها " سيبويه" في كتابه.
- لم يغب التنغيم عن ذهن علماء العربية القدماء، ويظهر ذلك من خلال تلك التلميحات والإشارات المبثوثة في النصوص الشعرية، وكلام النحاة.
- عرف البحث الصوتي الحديث قفزة نوعية، لأنه قد أضاف معرفة بظواهر صوتية تتجاوز دراسة الأصوات المفردة- التي عُنِي بها القدامى-، والتي درسها المحدثون ضمن قسم كبير من علم الأصوات وهو الفونتيك (علم الأصوات العام)، إلى دراسة العلاقات التي تنشأ عن تجاور الأصوات داخل بنية اللغة، ومن أبرز هذه الظواهر وجود المقاطع والنبر والتنغيم الصوتي، والتي تعدَّ من أهم مباحث علم الفنولوجيا(علم وظائف الأصوات).
- التنغيم من الفونيمات فوق التركيبية له مفاهيم متعددة، ويمكن تفسيره بأنّه العنصر الموسيقي للكلام.
- المحدثون شأنهم شأن علماء العربية القدامى أدركوا ظاهرة التنغيم، لكن ما يميز دراساتهم إخضاعها لقواعد وقوانين رسمت لهم الخطوط العريضة التي يجب السير عليها عند التعرض لمختلف جوانب التنغيم، حيث تناولوا مستوياته وصوره وأهم الوظائف التي يؤديها على مستوى التراكيب.
- تتنوع نغمات الكلام بين منخفضة ترد في نهاية الجمل التقريرية على وجه الخصوص، ونغمة صاعدة عالية تبرز في الجمل الاستفهامية والجزء الأول من الجمل المعلقة (الشرطية تحديدا)، وبين ذلك الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت تكون النغمة المستوية، كما قد ترد النغمتين الصاعدة والهابطة في منطوق واحد تكون بدايته صاعدة والنهاية هابطة، أو العكس هابطة ثم صاعدة.
- للتنغيم أهمية كبيرة على مستوى المبنى والمعنى، بحيث يعدّ عاملا مهما في التمييز بين أنماط الجمل إن كانت تقريرية أو استفهامية مثلا، أما على مستوى المعنى فهو يساهم في التحديد الواضح لمعاني

الأساليب اللغوية وتوجيه أغراضها، وكل هذا يتحقق بالاعتماد على طريقة أداء صحيحة للجملة، وتنغيمها تنغيما مناسبا.

- التنغيم ليس محصورا فقط في ارتفاع درجة الصوت وانخفاضها، وإنما يدخل في علاقات مع مجموعة من الظواهر الصوتية على غرار النبر والفواصل الصوتية، بما تحمله من وقفات وسكتات.
- ترتبط قضية التنغيم في لغة القرآن الكريم بقضية علم المعاني، فالتنغيم القرآني يعكس الدلالة بشكل واضح، ويبرز أغراض الكثير من الأساليب اللغوية ويزيل اللبس عنها.
- تميزت سورة آل عمران بنسق تنغيمي يتماشى مع مقاصدها؛ إذ ظهرت من خلالها علاقة الأصوات بالدلالات ظهورا جليا، استطاع أن يترك أثرا واضحا في توجيه المعنى اللّغوي.
- في سورة "آل عمران" يظهر التنغيم من نوع النغمة الصاعدة في أساليب إنشائية طلبية، من قبيل الاستفهام والنداء والأمر والنهي، كما أن النغمة الصوتية توصل المعاني المجازية التي تخرج إليها هذه الأساليب كالتهديد والتحذير والإنكار والتعجب.
- ومن مواضع النغمة الهابطة تلك الأساليب التي تضمنت معاني الدّعاء الذي يتطلب طريقة أداء هادئة تظهر تذللا وتضرعا للمولى عزّ وجلّ.
- النغمة الصوتية الغالبة في السورة بالإضافة إلى النغمة الهابطة هي النغمة المستوية، لملاءمتها وموضوعات السورة الكريمة، إذ يكثر فيها التشريع ورسم منهاج الدين والعقيدة، وسرد قصة المسيح عيسى وأمه مريم عليها السلام.
- في الأخير يمكن القول إنّ تحليل التراكيب واستيعاب خواصها يقتضي النظر في هيئاتها الصوتية وطرق أدائها، وهو الأمر الذي يفتح آفاقا واعدة أمام مثل هذه الدراسات التي تسعى لكشف العلاقات القائمة بين المستويات اللّغوية، وكذا إبراز مدى انتظامها وتناسقها، كما تساهم مثل هذه البحوث التي تتناول النّصّ القرآني بالدّراسة والتحليل في فهم القرآن الكريم، واستيعاب مضامينه ومعانيه بشكل أعمق.

قائمة المصادر

والمراجع

– القرآن الكريم حفص عن عاصم

أولا : التفاسير القرآنية:

1- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، دس.

2- أبو حيّان، محمد بن يوسف الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج 2، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م.

3- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، تح: عبد السلام محمد علي شاهين: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1425هـ / 2004م.

4- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الفضل: المسند الجامع، تح: نبيل بن هاشم الغمري شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1434هـ / 2013 م.

5- السخاوي، علم الدين علي بن محمد: جمال القراء وكمال الإقراء، ج1، تح: علي حسين البواب مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط1، 1408هـ/ 1987م.

6- سيد قطب: في ظلال القرآن، مج1، ج3، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 32، 1423هـ/ 2003م.

7- السيوطي، جلال عبد الرحمان: تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لينان، ط1، 1406هـ/ 1986م.

8- الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، مج 1، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4 1402هـ/1981م.

9- طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مج 2، دار السعادة، القاهرة، مصر، د ط 1393هـ/ 1973م.

10- ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، ج3، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط 1984م.

11- فخر الدين الرازي، محمد بن ضياء الدين عمر: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج9، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دب، ط1، 1401هـ/ 1981م.

12- القاسمي، محمد جمال الدين: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/ 2003م.

13- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبو بكر: الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السُّنة وآي الفرقان، ج5، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/ 2006م.

14- المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ج4، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة، مصر، ط1، 1365هـ/ 1946م.

15- المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل: تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمان وتسير المنّان ج1، مطبعة بولاق، القاهرة، مصر، د ط، دس.

16- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م.

17- وهبة الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج2، دار الفكر، دمشق، سوريا ط10، 1430هـ/ 2009م.

ثانيا: المعاجم والقواميس اللغوية:

18- أحمد بن فارس، أبو الحسن بن زكريا الرازي: مقاييس اللغة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ/ 1999م.

19- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1 1429هـ/ 2008م.

20- أنطوان نعم وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق بيروت، لبنان، ط2، 2001م.

21- الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 1430هـ/ 2009م.

22- الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد: أساس البلاغة، ج2، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1419هـ/ 1998م.

23- الفراهيدي، أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم تح: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م.

24- الفيروز أبادي، محمد الدين بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، د ط، 1426هـ/ 2005م.

25- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، القاهرة، مصر، ط1، 1400هـ/ 1980م.

26- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1426هـ/ 2005م.

ثالثا : الكتب اللغوية القديمة والحديثة:

27- أحمد البابيي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع إربد، الأردن، ط1، 2012م.

28- أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط1، 2007م.

29- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د ط ، 1418هـ/ 1997م.

30- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، القاهرة مصر، ط2، 1414هـ/ 1994م.

31- بسام بركة: علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي بيروت، لبنان، د ط دس.

32- تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1990م.

33- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994م.

34- تحسين فاضل عباسي: البحث الصوتي وجمال الأداء، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1437هـ/ 2016م.

35- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، ج1، تح: علي محمد الضياع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، دس.

36- ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هندواي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ/ 1993م.

37- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، ج2، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دب د ط، د س.

38- حازم علي كمال الدين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1 1420هـ/ 1999م.

39- حسام البهمساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/ 2004م.

40- خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد، العراق 1403هـ/ 1983م.

41- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1405هـ/ 1985م.

42- سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د ط، 1426هـ/ 2005م.

43- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، مصر، ط2، 1402هـ/ 1982م.

44- شحدة فارع وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط3 2006م.

45- صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث الاسكندرية، مصر، د ط، دس.

46- عاطف فضل محمد: الأصوات اللغوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1 1434هـ/2013م.

47- عبد الرحمان أيوب: أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، القاهرة، مصر، ط2، 1968م.

48- عبد الرحمان حسن العارف: اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

49- عبد العزيز أحمد علاّم وعبد الله ربيع محمود: علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، 1430هـ/ 2009م.

50- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، القاهرة مصر د ط، 2002م.

51- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 1422هـ/ 2002م.

52- عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2 1435هـ/ 2014م.

53- عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية الفونتيكا، دار الفكر اللساني، بيروت، لبنان، ط1 1995م.

54- عطية سليمان أحمد: في علم الأصوات الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، د ط، دس.

55- عمار ساسي: المدخل إلى الصوتيات تاريخيا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن د ط، 2014م.

56- غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 1425هـ/2004م.

57- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2000م.

58- كوليزار كاكل عزيز: القرينة في اللغة العربية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1 2009م.

59- محمد جواد النوري: علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1996م.

60- محمد حسن حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية دارسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الأدب القاهرة، مصر، ط4، 1427هـ/ 2006م.

61- محمد بن عبد العزيز بن عمر نصيف: بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف، جمعية تحفيظ القرآن بجدة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1440هـ/ 2019م

62- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1421هـ/ 2000م.

63- مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، الأردن، ط3، 1417هـ/ 1996م.

64- منيرة محمد ناصري الدوسري: أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ.

65- نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، مصر، د ط، دس.

66- نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الاسكندرية د ط، 2000م.

رابعا: المقالات العلمية:

67- إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد: دلالة ظاهرة التنغيم في اللغة العربية، مجلة كلية التربية، قسم اللغة العربية، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، ع 1، ماي 2015م.

68- خالد حميدات: وظائف التنغيم ودورها في بناء الكفاية التواصلية لدى معلمي اللغة العربية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة2 ، مج 13، ع1، 2021م.

69- سامي عوض – عادل علي نعامة: دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث الجامعية، مج 28، ع 1، 2006م.

70- سليمان بوراس: الظواهر التطريزية ودورها في المعنى ظاهرة التنغيم أنموذجا، حوليات الآداب واللغات، ع 8، 2017م.

71- صباح علوي خلف: الفاصلة الصوتية وأثرها في الجملة العربية، كلية التربية سامراء، قسم اللغة العربية، مج 4، ع 9، 2008م.

72- عبد القادر بن فطة: أصالة التنغيم في القرآن الكريم، مجلة حوليات التراث، مجلة علمية محكمة سنوية، ع 18، 2018م.

73- عصام تمّام عبد الحميد علي: عناصر تشكيل التنغيم في اللغة العربية، مجلة الدراسات العربية.

74- فايزة حلمي مصطفى طه: دلالة التنغيم في الزهراوين (البقرة وآل عمران).

75- مزاحم مطر حسين: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني الاستفهام أنموذجا، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج6، ع3-4، 2007م.

76- نصيرة شيادي: التنغيم الصوتي عند الفلاسفة المسلمين وأثرهُ في الدلالة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، مج 12، ع2، 2020م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة	**-**
الشكر والعرفان	**-**
مقدمة	**أ-هـ**
الفصل الأول: الدرس الصوتي العربي بين القدامى والمحدثين	
المبحث الأول: الدراسات الصوتية العربية بين القدامى والمحدثين	**19-7**
المطلب الأول: إرهاصات الدرس الصوتي عند العرب القدامى	**8-7**
المطلب الثاني: جهود علماء العربية القدامى في الدراسة الصوتية	**13-8**
المطلب الثالث: نشأة الدرس الصوتي عند العرب المحدثين	**16-13**
المطلب الرابع: أهم أعلام الدرس الصوتي الحديث	**17**
المطلب الخامس: خصائص الدرس الصوتي العربي القديم والحديث	**19-17**
المبحث الثاني: ظاهرة التنغيم الصوتي	**41-20**
المطلب الأول: ماهية التنغيم	**23-20**
المطلب الثاني: ظاهرة التنغيم عند القدامى والمحدثين	**27-23**
المطلب الثالث: صور التنغيم	**31-27**
المطلب الرابع: وظائف التنغيم	**36-31**
المطلب الخامس: علاقات التنغيم	**41-36**
الفصل الثاني: دراسة صوتية وظيفية لظاهرة التنغيم في سورة "آل عمران"	
المبحث الأول: لمحة عن سورة "آل عمران"	**52-43**
المطلب الأول: التعريف بالسورة	**44-43**
المطلب الثاني: سبب تسميتها	**46-44**
المطلب الثالث: سبب نزولها	**46**
المطلب الرابع: مضمونها	**46**
المطلب الخامس: فضلها	**49-47**
المطلب السادس: أوجه التناسب في سورة "آل عمران"	**52-49**
المبحث الثاني: مظاهر التنغيم في سورة "آل عمران"	**74-52**
المطلب الاول: النغمة الصاعدة	**64-52**

المطلب الثاني: النغمة الهابطة	**69–64**
المطلب الثالث: النغمة الصاعدة الهابطة	**71–69**
المطلب الرابع: النغمة المستوية	**74–72**
الخاتمة	**77–76**
قائمة المصادر والمراجع	**85–79**
فهرس المحتويات	**88–87**

ملخص:

يعالج البحث ظاهرة صوتية أدائية في اللغة العربية، وهي التنغيم الصوتي فاللغة العربية لغة تنغيمية تعتمد على الاختلاف في طريقة أداء الأصوات اللغوية للكشف عن مقاصد المتكلم التي أراد تبليغها فنغمة الصوت ميزة يتفرد بها أسلوب المتكلمين وطريقة كلامهم، كما أنها تعبر عن نفسيتهم وما يختلج في صدورهم من مشاعر وأحاسيس وانفعالات.

وتمت دراسة هذه الظاهرة من خلال الوقوف على الاثر الواضح للتنغيم في توجيه معاني ودلالات نماذج من آيات سورة "آل عمران"

الكلمات المفتاحية: التنغيم الصوتي، الظاهرة الصوتية، لغة تنغيمية، سورة آل عمران

Abstract :

The Reasrch deals with a performative vocal phenomenon in the performance of Linguistic sounds, to rveal the intentions of the speaker′s intentions that he wanted to communicative.

The tone of the voice is a feature that is unique to the style of the speakers, and their way of speaking, as it escpresses their psychology and the feelings, sensations and emotions that stir in their chests.

This study was studied by escamining the clear effect of intonation in guiding the meanings, and semantics of escamples of verses from surat Al-Imran.

Key words:

Vocal Intonation, vocal phenomenon, Tonal Language, surat Al- Imran.